رواية
عشيرة الأوس 2
زرقاء الأوس
رحاب إبراهيم عجم

عشيرة أوس ٢

إهداء إلى

أولئك الذين يغزلون الحياة رغم الخراب الذي حل بصدورهم

"مقدمة"

عندما يجتمع مجموعة من مريضو الأنا تحت لواء وشعار واحد؛ يكون قائدهم زعيم الشياطين ملك الكِبر والخيلاء "إبليس"، فيجتمعون على أمرٍ واحد؛ إهلاك أكبر قدر من بني آدم لنشوة تُشعرهم بالأهمية، بأنهم النخبة التي تستطيع التحكم في مصائر الناس، وبالطرق الأكثر إيلامًا وقسوة، وهنا يرقص قلب قائدهم نشوة وفرحة... فها هو ينتقم من نسل آدم أجمع، ويبر قسمه.

(١)

كان يلكم كيس الملاكمة بقوة وحبات العرق تتأرجح هنا وهناك، أصبح شخصًا مختلفًا عما كان عليه منذ ثلاث سنوات بتلك الذراعين المفتولين، والجسد المشدود كالطود، والمسافة التي زادت بين منكبيه... إلا من تلك العينان التي ظلت على حالها تحمل بأغوارها شذرات الذكاء، ولمعات الدفء، اللهم إلا ما زاد عليها من وهج القوة والثقة التي اكتسبها خلال تلك السنوات.

- أراك ما زلت تتمرن أيها القطرب

قالها صهيب في شيء من المبالاة.

فتوقف سامي عن لكم الكيس، وافتغر ثغره عن ابتسامة جانبية متحدية، قائلاً:

- ماذا؟ هل أنت خائف؟!

تعالت ضحكات صهيب، وابتسم قائلاً:

- ممن أخاف يا صغيري؟!.. لا تنس إنني من أبناء عشيرة الأوس
- لا لم أنسى، فهذا ما اكتسبته بالولادة، أما أنا فاكتسبته بالجد والجهد، لا تنسى أنت ذلك

رفع صهيب حاجبه وابتسم بتحدي وقال:

- حسنًا موعدنا يوم المهرجان الرياضي أيها القطرب

ثم خرج وكأنه لا يوليه أي أهمية، فتوقف سامي قليلاً يلتقط أنفاسه، وقبل أن يعاود لكم الكيس مرة أخرى بعنف بغاته رنين ساعته الذكية، فنظر إليها وهو يقول: **"لقد حان وقت العمل"**. ثم وضع المنشفة حول رقبته وتناول قنينة الماء وخرج مدندنًا رائق المزاج، حتى وجد صهيب يقف مع طيبة يتحدثان في أمر ما، فتعكر مزاجه وهو يضغط على أسنانه ينظر إليهما بلامبالاة رغم أن داخله يشتعل نارًا، فكم يوتره وقوفها معه، وكم يضايقه وجوده دائمًا بجانبها بحجة العمل، حتى وإن كانت متحفظة في الحديث معه ومع غيره، حتى وإن كان يحادثها بكل أدب، إلا إنه يعرف بصفته رجل ماهية تلك النظرة التي يلقيها صهيب عليها كل حين وحين، ويعلم معنى أن يبش وجه رجل عندما يتحدث مع امرأة بعينها، يعلم تمامًا معنى أن يحب رجل امرأة وينجذب إليها بكل كيانه، فهو أيضًا يُحبها.. لذا يغتاظ ويشعر بأنه ثور ينفث من منخريه نارًا؛ فهي حبيبته التي يريدها!.

***

بعد يوم شاق رفع سامي عينيه أخيرًا من على حاسوبه وهو يصفر بهدوء انتصارًا لما وصل إليه بعد بحث طويل أجهده وجعله ييأس أحيانًا، لكنه كان بحثًا يستحق.. فتلك التسجيلات التي حصل عليها ستقلب العالم رأسًا على عقب إذا تم تسريبها وستُجهض تلك الخطة الخبيثة التي دأب عليها الخبثاء لجعل العالم ساحة حرب شعواء لا أمل فيها للحياة على الإطلاق. لذا قرر أنه سيقوم بكل ما في وسعه لكشف خططهم بإظهارها للعلن أولاً وإشعال رأي العامة في العالم كله، فالقوة البشرية لا يستهان بها؛ خاصة لو كان الأمر يهدد حياتهم. ثم ابتسم ببشاشة وحمّل كل تلك الفديوهات والوثائق على خازن المعلومات (فلاشة) وقام من مجلسه يتمتطع بمرح ونشوة، لينظر إليه سهيل فور دخوله وهو يقول:

- ما هذه السعادة؟..يبدو أنك أنجزت شيئًا مهمًا!

ابتسم سامي ورفع يده ممسكًا بخازن المعلومات قائلاً:

- نعم!، معي قضية ستُحدث ضجيجًا كبيرًا
- مبارك يا فتى، أعهدك دائمًا نشيطًا

فابتسم سامي ثم سأله:

- كيف حال عائلتك؟
- في أفضل حال الحمد لله.. سالم دائمًا يحدثني عنك بإعجاب وكأنك بطله الخارق

خجل سامي من ذلك المديح، فهو يرى نفسه أبعد ما يكون عن بطل خارق خاصة وهو بين عشيرة الأوس، فقال:

- الأطفال يحبون من يحنو عليهم لا أكثر، لذا أنت تبالغ قليلاً بوصفي ببطله الخارق!
- أرى إنك تبخس نفسك حقها يا فتى.. أنت أفضل مما تعتقد

ابتسم سامي على ما قاله سهيل بود قائلاً:

- شكرًا لك يا صديقي

ثم أستطرد منتفضًا بعدما تذكر ميعاده:

- لقد نسيت!.. أعتقد أن عليّ الذهاب الآن
- حسنًا إلى اللقاء، الله معك

خرج سامي مسرعًا إلى بيت طارق، والبهجة تنير وجهه كطفل سعيد بقدوم العيد، كانت تسعده تلك التجمعات العائلية التي يشعر فيها دائمًا بأنه الشخص الأكثر آمنًا وسعادة في العالم، ويسعده أيضًا وجودها معه في تلك التجمعات؛ كان بهذا الأمر يشعر بأنه الأقرب منها عن غريمه صهيب، إلا إنه ظل يأمل ويدعي الله دائمًا أن يكون الأقرب لروحها ولقلبها.

وقف أمام الباب، ونظر إلى ملابسه يهندمها ثم أخذ نفسًا عميقًا وقرع جرس الباب وهو يعود إلى وقاره السابق وهدوئه المعتاد

الذي يستحضره أمامها، رغم أنه يريد إظهار حبه وطبيعته لها؛ إلا إنه يخاف أن ترفضه وتنظر إليه كسامي الذي يصغرها بعام، سامي الذي لا ينتمي لعشيرة الأوس؛ عشيرتها التي تفخر بها، يتذكر كيف كانت تعامله كطفل أصغر منها، يتذكر مفخارتها بقوتها وبإحرازها العديد من الميداليات في حين أنه لم يحرز شيئًا على الإطلاق، كل تلك الأمور كانت تقف بينه وبينها، لذا خلال تلك السنوات كد في تغيير نفسه للأفضل ومحاولة الوصول للمكانة التي تعتليها ليتمكن من جوارها.

- هيييييه، خالو سامي خالو سامي

قالها إلياس وهو يرتمى على ساقي سامي يتمسك بهما فور دخوله من باب البيت، فحمله سامي يداعبه ويلثمه كثيرًا وهو يقول:

- حبيب خالو المشاكس

فاقتربت منهما ثائرة وهي تبتسم قائلة:

- ماذا فعلت له ليتعلق بك إلى هذا الحد يا سامي؟.. إنه لا يتحدث إلا عنك ولا يريد إلا أنت!

فأجابها ضاحكًا:

- وهل أسمي هذه غيرة أم ماذا؟

وكزته ثائرة، فاستطرد ضاحكًا:

- كل ما في الأمر إننا أصدقاء يا عزيزتي، وهذا شأننا لا تتدخلي بيننا

ابتسمت بحب وقالت:

- لا حرمني الله منكما

فأتاها صوت أوس من خلفها محملاً بغيرة طفولية:

- وهل أنا العزول بينكما!.. أين موضعي في تلك القصة الجميلة؟
- يا إلهي!، ها قد بدأنا
- هــ..

وقبل أن يُكمل جملته، قاطعه سامي مرة أخرى وهو يدفع ثائرة من كتفها برفق لتكون بين يديه وهو يقول:

- هي عندك!، خذها يا عزيزي وأتركاني وشأني

ثم تركهما خلفه وهو يبحث بعينيه عنها، فقال أوس لثائرة بمرح:

- لقد أصبح ضيق الأفق قليلاً!

فابتسمت وقالت:

- وأنا أعلم السبب

فنظر إليها مستفسرًا بفضول:

- ما الأمر؟
- هذا سر
- عني أنا!
- وعنه شخصيًا، فهو لا يعلم إني أعلم

ضيق ما بين حاجبيه بعدم فهم وقال:

- أهي فزورة؟

فنظرت ثائرة لسيلا التي تتابعهما منذ البداية وغمزت لها أمام أوس، فبادلتها الأخرى، ليقول بجدية ورهبة:

- أنتن حقًا مخيفات!
- هههههه وما الذي يخيفك الآن؟
- لا أعلم تحديدًا ولكن أشعر أنكن منظمة خاصة، أو تملكون قوة ما، وإلا كيف عرفتما بما يفكر به سامي؟
- كل ما في الأمر أننا نهتم بالتفاصيل عنكم أيها الرجال، لذا سريعًا ما نلاحظ ما خُفي عنا، بجانب إننا نشعر بكل ما يحيط بنا بإدراك شديد، وعندما نحب شخصًا نهتم لكل شاردة وواردة تخصه؛ لذا يكون سهلاً علينا استنباط بعض الحقائق حتى وإن لم تقال علنًا

بُهر وفُغر فاهه وهو ينظر لها ببراءة ثم قال:

- لا أدري إن كان يجب علينا أن نقلق نحن الرجال من هذه القدرات أم نفرح لأنكن تهتمون، فربما تنقلب علينا تلك القدرات يومًا ما!

فنظرت له ثائرة بغموض وهي تقترب منه بخفة كقطة تتهيأ للانقضاض وقالت:

- مع إن حدوث هذا يرجع لكم ولتعاملكم معنا، إلا إنه دائمًا تسبق عاطفتنا حُكمنا

فابتسم بحب قائلاً:

- سبحان من خلقكن

فبادلته الإبتسام بود واقتربت منه هذه المرة بلطف ومودة ليكتنفها بذراعه ويبثها الحب.

أما سامي فجلس بمقربة منها، لا تبعدهما مسافة كبيرة ولا تقربهما مسافة قصيرة، تعمد هذه المسافة حتى يتثنى له أن يأنس بوجودها معه وفي نفس الحين حتى لا يُفتضح أمره.

وجلس يتأمل الجميع ويتابع أحاديثهم بصمت وهدوء وهو يلعب بخازن المعلومات بأصابعه دون أن يشاركهم بشئ؛ حتى بغاتته طيبة وهي تنظر إليه وتقول:

- أنت تكون هكذا بالعادة عندما تفكر بشئ ما أو تخطط لشئ

انتبه لمعرفتها ذلك وثقتها بما تقول كأنها تحفظه، فسألها بشغف:

- كيف أكون؟
- تتأمل وجوه الجميع، لا تشارك الحديث رغم إنها ليست عادتك، تحرك يدك كثيرًا، أو تمسك بشئ ما وتلعب به كالآن

ثم ضيقت عينيها واستطردت:

- ماذا هنالك بالضبط؟

ابتسم بعذوبة مختلطة ببعض المكر، ورفع حاجبه الأيسر بتلذذ؛ لتقول له مرة أخرى:

- ولا ترفع حاجبك هذا إلا عندما تتلذذ بشعور ما

فاتسعت ابتسامته بفرحة غامرة، يعجبه كم تفهمه إلى هذا الحد، ثم قال بهدوء لا يعبر عن ما بداخله من حماس اتجاه ما اكتشفه، والأمل يداعب قلبه بحب:

- إنها مفاجأة!

لكن هو الذي تفاجأ حينما رأى الجميع يحملق به؛ فاعتدل في جلسته وهو يرمقهم بجدية متبادلة، حتى بادئه طارق الحديث قائلاً:

- أخبرنا ما هي؟

فنظر سامي ناحية طيبة التي تسمرت كصنم حينما أدركت أنهم قد سمعوا ما قالته لسامي، ثم نظر إليهم جميعًا وقال:

- هناك قضية مهمة يجب نشرها بين العامة، يجب أن تعي الناس بها لشدة خطرها

فتحمس كلاً من ثائرة وأوس وقالا في نفس الحين:

- أخبرنا بالمزيد!

فابتسم سامي وأخذ شهيقًا عميقًا وقال:

- سأبدأ معكم بسؤال.. هل توصلتم إلى سبب اختفاء بعض البالغين والأطفال وعدم ظهورهم مرة أخرى مثل الباقين الذين خُطفوا للتجارة بأعضاءهم أو للتجارة بهم كعبيد أو للسحر؟

فرد أوس قائلاً:

- أنت بالفعل تدرك لما توصلنا إليه؛ اعتقدنا أنهم قد انتحروا أو لم نستطع اللحاق بهم وكان الموت هو الأسرع

- دعني أسألك سؤالاً آخر، هل هناك علاقة بين أولئك المفقودين وبين هؤلاء الجماعة الذين يقومون بوخز بعض الناس في المواصلات العامة بإبر الحقن، الذي ظن الناس وقتها أن هذه حقن تخدير للخطف؟

فابتسم أوس بعدم فهم لما يريد سامي الوصول إليه وقال:

- أعتقد لا، فنحن نعرف أنهم كانوا يوخزن الناس بالإبر فقط ولم يكن هناك أي مواد مخدرة، وأيضًا من يستطيع خطف شخص بحقنه بمادة مخدرة وحمله أمام الناس والهرب به دون أن يشك به أحد!، كما أن تخدير الناس بالحقن يتم على يد طبيب تخدير يعرف النسبة اللازمة لجسد الشخص وعلى حسب حالته الحيوية، لذا نعرف أن وخز الإبر كان لنشر بعد الفيروسات كالإيدز والزهري وغيرها من الفيروسات التي تسبب أمراض مميتة، وبعض الحقن كانت تحمل تلك الفيروسات بالفعل كما أظهر معملنا هنا

فقال سامي بثقة:

- إجابة غير موفقة رغم أن كل ما قلته صحيحًا أيضًا

فتكلم طارق هذه المرة قائلاً:

- أعتقد أن هذه المقدمة الكبيرة هي تمهيد لشئ كبير جدًا يا سامي.. هل هذا صحيح؟
- هذا صحيح يا طارق

ثم صمت قليلاً وأخذ شهيقًا آخر طويلاً للاستعداد للشرح الطويل ثم قال:

- انصتوا جيدًا لما أقول

فأومأ جميعهم له، ليقول مستطردًا:

- لم يمر عليّ الأمر مرور الكرام، شعرت بأن هذا الحدث كان يضرب عصفورين بحجر واحد ليس إلا، خاصة إنني أتابع عن كثب لأنتهز أي أدلة تقع تحت يدي تتكلم عن خطط هذه المنظمات الإبليسية

فقاطعته طيبة باندفاع:

- تتابع عن كثب!.. لذا كنت تدفعني لمساعدة ثائرة في البحث عن المختطفين وذويهم بحجة إنني الأسرع حتى لا أشاركك ما تبحث عنه

فقال أوس في خاطره: **" يا إلهي!، ما زالت تلك الفتاة متحمسة ومتحدية كالنيران المشتعلة، ومستعدة لإلقاء نفسها في أي مكان لتؤوله إلى جحيم مستعر"**

وتنهد سامي وهو ينظر إليها بتمعن، ثم قال:

- ولكن مساعدة ثائرة وسيلا كانت مهمة أيضًا يا طيبة، حتى أن موضوعها لا يخرج عن موضوع الاختطاف كذلك
- طالما الأمر هكذا لماذا لم تخبرني؟!، لماذا يجب أن أكون جاهلة بكُلية الأمر؟

فقال بنفاذ صبر:

- لأنكِ تتحمسين لدرجة التهور.. أنتِ عندما تتحمسين تفقدين السيطرة على العمل بهدوء وتخطئين

تجمدت وكفت عن الكلام، ولم يستطع سامي معرفة ما كان سبب انطفائها المفاجئ؛ هل كان بسبب عدم إشراكها وإعلامها بالأمر من البداية، أم كان بسبب إنها شعرت إنه يحاول التقليل من إتقانها لعملها، فحاول إصلاح الأمر قائلاً:

- الأمر ليس كما تتصورينه..
- لا داعي للشرح.. أكمل ما كنت تتكلم عنه

نظر إليها بصدمة؛ لموقفها الجامد وحديثها البارد، وهو لم يعهدها هكذا أبدًا، فقال أوس موجهًا إليه الحديث:

- أكمل الآن، ولاحقًا نتصرف في أمركما هذا

فابتسم طارق قائلاً:

- دائمًا ما تكونا هكذا.. لا أعلم سر هذه الحرب التي بينكما!

فنظر إليها سامي نظرة أخيرة حائرة ومتسائلة ثم أكمل حديثه السابق:

- لقد لفت نظري أن بعض المحاقن التي كانت مع أولئك الناس ملوثة بالدم، وكأنه تم سحب دم من الضحية وليس ضخ مادة ما أو فيرس به؛ وهذا أول دليل للشك، ثانيًا عند بحثي في السجلات الحكومية عن حوادث أخرى كتلك؛ وجدت العديد من الشكاوي بخصوص تعرض البعض للوخز من أناس مجهولين، وكان هذا على فترات زمنية متفاوتة، وللتأكد من هذا الهاجس الذي يئز في عقلي كذبابة لعينة؛ بحثت عن أولئك الشاكين، واحذروا ماذا وجدت!..

فردد الجميع بصوت واحد سائلين:

- ماذا؟!
- لقد وجدت أن بعضهم مختفي منذ ذلك الحين!

حملق الجالسين بجدية تُشي بخطر داهم يدق بالناقوس مُعلنًا وجوب الاستعداد.. فأكمل سامي:

- لقد بحثت عن عمليات كتلك في بلاد أخرى ووجدت الكثير بالفعل.. بجانب كل ما قرأته عن مخططاتهم وعنهم جعلني أفكر في ذلك الأمر الذي أفكر فيه

فسأله أوس بترقب:

- وما هو هذا الأمر الذي توصلت إليه وتفكر فيه؟

- إنهم يحضرون جيشًا من البشر المعدلين وراثيًا، جيش لا يخاف ولا يشعر ولا يتردد، جيش موجه للقتل والإبادة فقط

نظر الجميع إلى بعضهم البعض في رعب يتمتمون بهواجس مرعبة صارت تزحف إلى عقولهم رويدًا رويدًا، حتى أخرجهم طارق من تلك الحالة وهو يقول:

- هل استطعت الوصول إلى دليل قوي يُصدق على استنتاجاتك وبحثك

فرفع سامي يده بخازن المعلومات وهو يقول بفخر وثقة:

- إنه معي.. معي الدليل من داخل معمل التجارب الخاص بعلم الوراثة

فشهقت ثائرة بحماس وقالت:

- أهذا فيديو تسجيلي؟
- نعم!، وبعض الوثائق أيضًا

صاحت بحماس:

- إذن سيحين وقت مقال خاص قريبًا

فابتسم سامي لحماس أخته المعتاد بالطبع الثائر دائمًا وقال:

- بالطبع

ثم فجأة قالت طيبة بهدوء:

- هناك أمر عرفته قريبًا أيضًا، وأظنه يرتبط بقضية سامي في جانب ما

فتفاجأ الحاضرين، وقال سامي مترقبًا:

- ما هو؟
- هناك رجل أعمال مشهور قد لفت انتباهي في الأونة الأخيرة، بسبب إعلانه عن شرائح طبية تُضع في دماغ الإنسان لمعالجته من أمراض عديدة مثل الشلل والصداع والسكر والضغط..إلخ.. وهذا لم يفاجئني صراحة؛ لأنني شاهدته في العديد من الأفلام ودائمًا تكون تلك الشرائح فيما بعد أداة للتحكم في الإنسان ليس إلا، وبما إنني أرى أن تلك الأفلام ما هي إلا رسائلهم المستقبلية للبشرية؛ فبحثت بعمق خلف ما يفعله هذا الرجل؛ وصدق ما توقعته!

فسألها أوس:

- هل أخذتِ ما يثبت عليه ذلك؟
- بالتأكيد!

فرفع أوس هامته بحماس وهو يقول:

- لقد حان وقت العمل الجاد

لكن سامي علق مُحذرًا:

- علينا الحذر جميعًا.. خاصةً أنتم يا عشيرة الأوس، لأنهم يبحثون عن من هم مثلكم ممن يمتلكون قوى خاصة.. أنتم منجم ذهب لهم

فقال طارق متخوفًا وهو ينظر لأوس:

- بالتأكيد هم يعرفون عنكم يا أوس، فلقد أبلينا بلاءً حسنًا في القضاء على اختطاف الأطفال الذي كانوا يستفيدون منه

فشرد أوس وهو ينظر لابنه الصغير الذي يمرح بألعابه بينهم وقال بخفوت:

- بالتأكيد!

ثم كشر بعنف ونظر بقوة للفراغ يستطرد مُهددًا:

- من يجرؤ على الاقتراب سيُلتهم

(٢)

في بناية قديمة بعيدة عن الحضر جلس شخص متشح بالسواد أمام حاسوبه وهو يبتسم بمكر وخبث، كان في مستهل الثلاثينيات، عيناه

جامدتان ميتتان، أنفه مستقيم حاد، ملامحه قاسية، وبصورة كاملة كان شخصًا غير مريح بالمرة، وكأنك تنظر في عيني ثعبان أنكوندا مرعب..

تنتشر على الجدران حوله رموز العين الواحدة، الهرم المقلوب، البرجل، طلاسم، وبعض صور لأبحاث وشرائط ال DNA ودراسات لأبحاث بيلوجية، لكن كان الأكثر لفتًا للنظر؛ ذلك الرسم الكبير الذي يحتل المساحة الأكبر لأسد يقف على خلفيتيه وبجانبه رسم آخر كبير لبومة سوداء تلتف حولها أفعى و تعلوهما عبارة **"تحيا ليلث، يحيا يهوذا"**.. ثم قام من على مقعده فجأة متجهًا إلى تلكما الرسمتان وقال بخشوع:

- تحيا أمنا ليلث، تحيا مملكة يهوذا

ثم خرج من الغرفة و عبر الممر الذي أمامها حتى وقف أمام غرفة مغلقة كُتب عليها "التجربة الأولى"، أمسك بمقبض الباب وفتحه وهو ينظر مبتسمًا كالمجاذيب إلى أنبوب كبير مملوء بسائل شفاف وبداخله جسم غريب الشكل موصول بأنفه أنبوب أكسجين، ثم أتجه إلى الشاشة الموضوعة أمامه وهو يقرأ علاماته الحيوية واستقرار الجين الموصول بجينه الإنساني دون أي انهيار لشريط ال DNA ، ثم قال:

- كيف حالك يا مسخي!

***

وقف سامي أمام حاسوب طيبة ينتظرها ويملؤه القلق والتوتر، وما إن دخلت عليه حتى انعكص حاجباه صائحًا باسمها بعصبية، فعقدت حاجبيها بعدم رضا، ووقفت أمامه تعقد ذراعيها على صدرها وهي تقول:

- ما خطب تلك العصبية يا سامي؟

- لقد أخبرتك من قبل بألا تستفزي أولئك الناس..! أنتِ تدخلين بين سفاحين وقتلة مأجورون وتاجري أعضاء وسلاح، وحفنة من المجانين المختلون عقليًا ثم تقومين بالتلاعب بأعمالهم وإقفال حساباتهم على الـ Dark web وكأن هذا الموقع موقع للتواصل الاجتماعي وليس موقع المجتمع المظلم!!، ثم فوق كل ذلك تتعاملين باسمك المعروف في مجالنا بين المخترقين.. فيما تفكرين أيتها المجنونة!

ثم صمت قليلاً يزدرد ريقه ويضبط أنفاسه، ليستطرد مرة أخرى بحدة أكبر:

- وتريدينني ألا أجن وأتكلم بعصبية..عجبًا منكِ!
- لكنهم لا يستطيعون الوصول إليّ يا سامي، فاهدأ قليلاً ولا تخف!

فثارت ثائرته لهدوئها وعدم مبالاتها، وصرخ بوجهها قائلاً:

- لقد تم الوصول إلى هويتكِ أيتها الغبية!

اتسعت عينيها بصدمة، وقالت:

- ماذا!!.. كيف ذلك؟
- لأنكِ لستِ حذرة كفاية، أنتِ تتهورين كثيرًا يا طيبة
- هل تعلم من هو؟

- لا!.. ولكنني أحاول التوصل إلى أي شيء بشأنه، وعلى ما يبدو أن هذا الشخص محترف ويعرف كيف يلعب

فقالت مبتسمة بحماس:

- هذا جيد.. لقد دخلت مصيدتي فريسة دسمة
- !!

وقف مشدوهًا من تصرفاتها، ومما قالت، ثم سألها مستفسرًا:

- ماذا يعني هذا؟!

رفعت طيبة حاجبها وهو تقول باستمتاع حقيقي:

- لقد قصدت ذلك حتى أجذب إليّ أنظار أخطرهم

اتسعت عينيّ سامي بغضب وهو يقول:

- عرضتِ نفسك للخطر من...

فقاطعته قائله بحسم:

- خطر ممن؟.. من أولئك الرعاع المختلون!.. نحن من عشيرة أوس يا سامي، لا تنسى ذلك!

خفق قلبه حينما جمعته بها وبعشيرتها بعدما كانت تفصله دائمًا عنهم، فشعر بأنه يصير أقرب من ذي قبل، ثم قال بود وحب دون إرادة تحكم قلبه وكأنه مسير:

- لكن أخاف عليكِ

ألقى جملته ثم أفاق سريعًا، فأشاح بوجهه عنها ونظر للباب قبل أن يرى مردود ما ألقى عليها من كلمات خرجت من صميم قلبه وروحه، واتجه إليه بفزع تمثيلي غير متقن وهو يقول:

- أعتقد إنني رأيت شيئًا ما غير مألوف

فابتسمت وهي تنظر نحوه وتكتم ضحكاتها على تصرفه الطفولي، ثم التفت تنظر إلى الناحية الأخرى هي الأخرى، لتخفي ذلك التورد الخجّل على خديها فكحاله خفق قلبها أيضًا، ثم قالت تسايره لتفادي حرج الموقف:

- يبدو أن أحدهم مر بسرعة فظننته شيئًا غير مألوفًا

فهز سامي رأسه بهستريا كالمجاذيب وهو يقول:

- ربمـــــا!

ثم صمتا قليلاً قبل أن يبدأ سامي الحديث وهو يقول بجدية:

- أخبريني بما يدور برأسك يا طيبة، فيبدو إنكِ خططتِ لشئ ما

فابتسمت بدهاء وقالت:

- عندما بدوت مشغولاً عرفت إنك تلاحق شيئًا يستحق، ولم أرد إزعاجك بالتدخل، كما أردت أن تحصل على صيدك

الثمين وحدك.. وكنت أعلم إنك كنت تحميني طوال الوقت بألاعيبك الاختراقية تلك؛ لذلك لم يستطع أحد الوصول إلىّ إلا وأجهدته تلك الألاعيب التي اخترعتها

فقاطعها متفاجئًا:

- أكنتِ تعلمين؟

أومأت برأسها، ثم قالت:

- نعم!.. أعلم إنك محترف ولكنني أيضًا محترفة، ولاحظت جدار الحماية الذي أحاطتني به

ثم نظرت له بامتنان وقالت:

- شكرًا لك

ثم أدارت نظرها إلى حاسوبها بسرعة، وهو للمرة الثانية كان قلبه يخفق بجنون لشعور يتنامي بداخله بأن هناك أمل بأن تلتفت إليه كرجل.. ثم استطردت:

- عندما كنت مشغولاً بدأت أتابع عن كثب أي محاولات في التجسس علينا بما إنك كنت تبحث في شيء خطير، وأنت بالفعل تعلم أن مجالنا الأحداث فيه سريعة التلاحق؛ فأردت أن أتجهز لأي شيء.. وبالفعل كما توقعت؛ ظهر شخصً ما، انبثق معك خلال بحثك عن ما تريد الوصول إليه، ولم

تلاحظه لأنك كنت مشغول جدًا بالوصول إلى الهدف.. لكن فاجأني أنه لم يحاول إيقافك، كل ما أراده هو التجسس والوصول إلينا لا أكثر

ضيق سامي عينيه في قلق، وقال:

- لقد كان ينتظرنا من البداية!
- بالفعل.. لذا أعطيته ما يريد، وأوقعته في الفخ وقريبًا جدًا عندما تعاوني سنعرف مكان هذا الشخص

فابتسم معجبًا بذكائها وجرأتها وشجاعتها بقدر ما يمقت كل ذلك لخوفه عليها، ثم نظرت إليه مرة أخرى وقالت بعتاب:

- قد أكون متهورة ولكنني لست غبية، أدرس خطواتي جيدًا وأجيد ما أفعله، أما عن الأخطاء فكلنا نرتكبها وليس أنا فقط

ففهم علام ترمي بكلماتها، فقال آسفًا:

- لقد قلت هذا الكلام في هذا اليوم اندفاعًا مني.. لقلقي من أن تتأذي
- لا تخف وتوكل على الله، ولا تنس أننا من عشيرة الأوس

فابتسم لها وبادلته الإبتسامة، وعادا لطرق أزرار لوحة مفاتيح حاسوبهما بشغف مرة أخرى.

(٣)

جلست ثائرة تضغط على أزرار حاسوبها الشخصي في نهم، فتسجيلات الفيديو التي أعطاها لها سامي قد أشعلت فتيل ثائرتها، كانت تظغط على الأزرار أحيانًا بغل وكأنها تقضي على أولئك الذين يفسدون في الأرض هكذا.

- ما بالك يا ثائرة؟.. تضغطين على الأزرار وكأنكِ تقتلين أحد ما
- إنني بالفعل أقتلهم في مخيلتي يا عزيزتي سيلا

ضحكت سيلا؛ ثم تآوت بعدها وهي تمسك بطنها المنتفخة، فأسرعت ثائرة تمسك ببطنها وهي تقول بقلق:

- ما الأمر؟

ابتسمت بتعب وقالت:

- الحمل يتعبني كثيرًا، خاصةً في هذه الأيام الأخيرة

فتركت ثائرة حاسوبها واقتربت منها واحتضنتها تقرأ عليها ما تيسر من القرآن، فاستكانت سيلا، ثم قالت:

- أرتاح كثيرًا عندما تقومين بذلك يا ثائرة.. شكرًا لكِ
- لا أريد أن تجهدي نفسك كثيرًا هذه الأيام يا سيلا، يكفي أنها صعبة عليكِ
- لقد مللت الجلوس دون عمل أي شيء.. وأنتِ تعملين وحدك منذ فترة دون أن أساعدكِ مع إنك مشغولة طوال الوقت بطفلك وزوجك وبيتك

ربتت ثائرة على رأسها بلطف وقالت:

- لكني لم أتعب ولم أشتكي بعد.. لذا استريحي ولا ترهقي نفسك كثيرًا

فابتسمت لها سيلا بحب، ثم قالت:

- متى ستنشرين الفديوهات التي بحوزتنا؟
- سأنشرها بعد أن أمهد للناس ما يحصل، في البداية سألفت نظر الناس لأولئك الناس الذي اختطفوا من قبل، ثم أجعلهم يتسائلون، وعندما يتسائل الناس يُصبح كشف الحقائق أسهل، خاصةً عندما أثير عريكتهم بمقالات مدوية تمتلئ بالحقائق

رفعت سيلا حاجبيها مفكرة، ثم قالت:

- هذا بالفعل أفضل، نشر تلك الفديوهات دون تخطيط مسبق وحكمة قد يجعلها سهلة الوئد، فالناس تميل لعدم التصديق عندما يتعلق الأمر بفعل أشياء غريبة وخارجة عن المألوف، خاصةً أن تلك المنظمات تمتلك جيوشًا من الذباب الإلكتروني الذين سيسعون لخلط الأمر على الناس ونشر الأكاذيب

فأومأت ثائرة برأسها مؤكدة. لتستطرد سيلا مرة أخرى:

- دعينا بعدما نرمي طعم الإثارة للناس أن نتحدث عن أمر الشرائح الإلكترونية التي يريدون زرعها في أدمغة الناس

بحجة العلاج، فهذا الموضوع سيؤثر في الكثير من الناس لتمنيهم جسدًا معافى لهم ولأحبابهم..

ثم فكرت قليلاً وأكملت:

- في البداية نتكلم عن الموضوع كما هو ثم نُلقي بعدها بعد التخوفات من زرع تلك الرقاقة، ثم نلفت أنظارهم نحو نوع حياة رجل الأعمال الذي يعمل عليها، فبالتأكيد سيروا ما يريبهم منه، بعدها نلقي الحقيقة بالأدلة المدموغة عن نيتهم الحقيقية دون هوادة
- بمشيئة الله

فأغمضت سيلا عينيها بإرهاق وهي تتنهد بأسى وقالت:

- لا أفهم كيف يفكر أولئك الناس؟.. لا أفهم كيف يسعى أولئك الحمقى إلى الخراب والدمار بذلك الإصرار!.. ما الجمال في تخريب فطرة إنسان، أو تخريب طبيعته الجسدية وكينونته، ما الجميل في هدر الدماء وقتل الأطفال...

فتنهدت ثائرة قائلة:

- كما قلتِ.. إنهم حمقى

فأومأت سيلا برأسها مؤيدة ما قالته، ثم قالت:

- دعينا نشاهد بعض الفديوهات معًا

ردت ثائرة بحماس:

- هيا بنا

واجتمعتا أمام الحاسوب تشاهدان.

الفيديو الأول...

على سرير طبي استلقى بلا حول ولا قوة جسد لرجل وُصل به العديد من الأسلاك والخراطيم، يلتف حوله الأطباء من كل اتجاه، كل طبيب منهم يمسك بجهاز يتصل بعضو من أعضاء جسد المستلقي، وكلٍ كانوا في حالة انتباه شديدة، ظلوا يحقنونه كل حين وحين بمواد ما في أوردته ثم ينظرون لتلك الأجهزة التي يمسكونها ويضغطون على شاشتها.. ثم فجأة انتفض الجسد وكأن الكهرباء مسته، فانتفض الأطباء بالتالي من حوله بذعر، وهم يحقنونه بعقاقير كثيرة حتى هدأت نوبته، فهدأ الأطباء من حوله كذلك واستكانوا لسكون الجسد الذي أمامهم؛ حتى فاجأهم مرة أخرى بخروج زوائد عظمية من جسده، مدببة كالأشواك، فابتعدوا بسرعة وهم يهللون لنجاحهم في دمج كل من جين الإنسان بجين القنفذ والتلاعب بهما ليصبحا جين مختلف عن الجينان الأصليان، ولكن حصل ما لم يكن في حسبانهم، لقد نهض الرجل بنصفه العلوي وهاجمهم بقذف تلك الأشواك عليهم، فكانت تصيبهم كأنهم بضع

ذبابات تم اصطيادها. لم يستطع الأطباء السيطرة عليه، وزاد الهرج والمرج حتى تدخل الأمن وأطلقوا على الكائن الجديد حقن المخدر؛ فخارت قواه وسكن من جديد.

ذعر الأطباء مما حدث، وزار الحوف قلوبهم يروعها بلا هوادة، فالأمر خرج من تحت أيديهم، وارتسمت ملامحه على وجوههم حتى إنه شل أطرافهم وهم يشاهدون جثث زملاءهم أمام أعينهم على الأرض، يتمنون التراجع كما يظهر عليهم ولكن هناك من كان يمنعهم، شخص لم يظهر أمام الكاميرا، ولكن كان يظهر من وجوههم إنهم يهابونه أكثر من ذلك الممسوخ، كان يظهر بأنه يلقي الأوامر وهم ينفذون دون تراجع..

بعد انتهاء الفيديو...

نظرت ثائرة إلى سيلا، ثم قالت:

- ما رأيك في هذا الفيديو؟
- يا إلهي!!.. لم أتوقع أن أرى مثل هذه الأشياء كحقيقة وواقع سيفرض فيما بعد
- من كان سيصدق مثل تلك الأشياء، بالتأكيد كانوا سيعتقدون إنه فيلم سينما كالذي يشاهدونه كل يوم من أفلام هوليود

- تلك الأفلام تشرح كل خططهم كما خُطط لها بالتمام والكمال.. لن أنسى ذلك الإنسان الذي مسخوه إلى كائن آخر ولقد رأيت مثله في أفلام عديدة

ثم فكرت قليلاً تستذكر، وقالت:

- هذا يشبه سلسلة أفلام X-Men
- لقد شاهدت فيلمًا من تلك السلسلة من قبل وأجزم أن ليس هناك فرق بينه وبين الحقيقة التي شاهدتها الآن

ثم استطردت ثائرة مرة أخرى:

- هل لاحظتي أن هناك من يأمر الأطباء بالعمل مجددًا رغم خوفهم
- نعم!.. يبدو أنه شخص بالغ النفوذ حتى يأمرهم ويطيعونه رغم الخوف والخطر الذي قد ينهي حياتهم في لحظة.. ولكن أي خطر هذا الذي يجعلهم يفاوضون على حياتهم
- خطر ضياع مستقبلهم، وعدم نيل ما يطمحون إليه من نجاح، أو خطر تعرض أحبائهم للتهلكة على أيدي هذا الشخص ومن معه، خطر الظلم الذي قد يتعرض له إذا لم يصدقهم أحد في وجود تلك المختبرات وما يحدث فيها، آخرهم خطر هلاكهم المؤكد إذا رفضوا أو انسحبوا بعد خوض التجربة معهم؛ لذا

ففرصة في النجاة وهم يعملون معهم إذا حذروا خير من عدم وجود أي فرصة على الإطلاق

- أتمنى أن يجد الذين يريدون الخلاص النجاة والهرب بعيدًا عن أولئك الناس
- أتمنى ذلك أيضًا، وأتمنى أن أمسك بأولئك الذين نصبوا أنفسهم ولاة حيواتنا؛ يتحكمون فينا متى أرادوا، وأنصب لهم محكمة تكون فيها الشعوب هي القاضي
- بإذن الله سيتحقق مرادنا.. علينا السعي فقط والتوكل على الله

فردت ثائرة بأمل يجتاح صوتها ووجهها بثقة:

- إن شاء الله

(٤)

كان الجميع في غرفة الحواسيب يقوم بعمله بهدوء ، حتى علا صوت صافرة الإنذار التي ربطها سامي بأي محاولة اختراق، فثارت ثائرتهم جميعًا، وتأهب كل من سامي وطيبة وصهيب، كانوا الثلاثة مجتمعين يمثلون جدار حماية قوي لحماية معلومات موقع عشيرتهم، وعندما عجز ثلاثتهم عن الوقوف أمام سرعة الاختراق؛

ساد القلق يفترس عقولهم وقلوبهم، حينها صاح سامي يطلب من ثلاثة آخرين:

- أنتم الثلاثة لا تقوموا بأي شيء سوى عمل جدار حماية جديد ومختلف.. أريد من ذلك المخترق أن يتفاجأ بوجود جدار آخر، وحتى وإن دأب على اختراقه، استمروا في صنع جدر حماية أخرى

انصاع ثلاثتهم إلى أمره ودأبوا على تنفيذ ما يقومون به، ثم اتجه سامي ناحية ثلاثة آخرون وقال:

- أريدك منكن الولوج إلى حاسب ذلك المخترق بأي شكل من الأشكال، وقوموا بمعرفة كل شيء عنه وأين يكون موقعه.. أريد هجوم قوي

فأومأ ثلاثتهن بعزم وقوة، وأدرن وجوهن يعملون بتصميم وصمت، ثم نظر سامي أخيرًا لطيبة وصهيب وقال:

- أريد منكما أن تحاولا تعطيله على الأقل عن هدفه، وأنا سأقوم بمحاولة فهم تلك الوسيلة التي يعمل بها ثم سأقوم بمهاجمة نقاط ضعفها؛ حينها سننتصر عليه بإذن الله

فأومأ كلاهما، وقالت طيبة مؤممة:

- بإذن الله

عمل الجميع بجد وبلا كلل ولا ملل لعدة ساعات طويلة، كانت فيها قيادة سامي لفريقه وتقسيمه لهم إلى مهاجمين ومدافعين تنجح خطوة بخطوة، حتى استطاع أن يعلن بعد تلك الساعات الطويلة نجاحهم في الحفاظ على سرية معلوماتهم وموقعهم.. صفق الجميع لعملهم الرائع الناجح، إلا ثلاثة لم يستديروا لهم حتى نظر لهم سامي يسألهن بتوجس:

- هل استطعتن الحصول عليه؟

لم ترد واحدة منهن لمدة دقيقة عدت كدهر على عقول باقي الفريق، حتى فجأتهن قائدتهن وهي تدير وجهها لهم وعلى وجهها بسمة انتصار واسعة:

- لقد حصلنا عليه.. ودون أن يدري بذلك

ابتسم سامي براحة بعد أن كان يضع يده على قلبه، ثم قال بمرح:

- أحسنتن يا حصان طروادة

فضحكت قائدتهن وقالت:

- مجاملة رائعة منك يا قطنا الأسود

اقترب سامي أكثر من ثلاثتهن وأخذ يتحدث معهن مطولاً، في حين كانت طيبة تتابعهم، كما كان صهيب يراقب نظراتها وتصرفاتها

هو الآخر؛ فهو أصبح يدرك مؤخرًا إلى من هي تميل، وقد كان هذا يجعله أكثر تحديًا لسامي.

***

في الجهة الأخرى كان ذلك المتشح بالسواد يجلس أمام حاسوبه وهو يبتسم ابتسامة خافتة لا يفهم مغزاها الرائي؛ أهي ابتسامة انتصار أم ابتسامة بلهاء لخاسر!. لكنه قام سريعًا واتجه ناحية الغرف الثلاثة ووقف أمامها، ثم دخل الغرفة الأولى وهو يتمعن في ذلك الكائن الذي يقف أمامه ولم يعد له صلة بعالم البشر إلا قليلا، ربما أصله البشري الذي ما زال يظهر منه القليل ويميزه بأنه كان يومًا إنسان، كان الكائن يقف أمام شاشة وُصل بها بعدة

أسلاك، ارتمست عليها حالته العقلية والمخية وسرعة استجابته للأوامر، وعندما أصبحت نسبة استعداد الكائن للعمل مائة بالمائة اقترب منه وفصل عنه ذلك الجهاز، ثم أمره قائلاً:

- تعال خلفي

فامتثل الكائن لأمره دون إبداء أي تردد أو مشاعر وكأنه آلة تم برمجتها للتو.. أخذه المتشح بالسواد إلى مكان واسع أسفل البناية، خُصصت كاملها لتدريب المتغيرين جينيًا، وإكسابهم خبرة الصيد، والتعود على حواسهم الخارقة وسيكلوجيتهم الجديدة المختلفة عن الحيوانات والبشر، ثم دنا من قفص الكلاب الملتهب أعصابها، التي تزمجر ولعابها يتطاير في كل مكان تعلن عن مدى سُعارها وشراستها، ثم أطلقهم على الكائن الذي اتسع فاهه عن أنياب متراصة حادة، واستطالت ذراعيه وافُتتلت عن عضلات متناسقة على طول الذراع مع مخالب سوداء برزت من أصابعه وكوعه، كذلك ساقيه التي استطالت إلى الخلف وأصبحت أقرب لسوق الضواري؛ ثم تقدم إليهم بسرعة جنونية وهجم بشراسة لا مثيل لها، فطارت أشلاء الكلاب في كل مكان دون أي جهد أو مقاومة تُذكر من ناحية الكلاب المسكينة.. فابتسم المتشح بالسواد مردداً بزهو: "لنرى كيف سيتصدون لمسخي هذا"...

بعد مرور ساعتان من تدريب ذلك المسخ واكتشاف قدراته، صعد هذا الشخص الغامض مرة أخرى إلى الأعلى، ثم وقف أمام الغرفة الثالثة وهو يتمعن بحماس وشغف الكلمة التي كتبت على الباب "خطر"، ثم اتجه ناحية الغرفة الثانية ودخلها ملقيًا ببصره على التجربة الثانية التي ستفيق بالغد، ثم دنا من الأنبوب التي تسبح فيه بجسدها الأنثوي، ثم هتف بنفاذ صبر: "كم أنا متلهف لأرى قدراتك يا عزيزتي بالغد"

***

جلس سامي في غرفة الحواسيب لبعض الوقت تحسبًا لأي طارئ، فدخل عليه صهيب قائلاً بهدوء:

- لا تقل لي إنك تجلس هنا تحسُبًا لأي طارئ

فلم ينظر إليه وظل شاردًا في اللاشئ، فاقترب صهيب وحرك يده أمام وجهه؛ فخرج سامي من شروده متفاجئًا، ونظر لصهيب وهو يقول متوجسًا قلقًا:

- ما الأمر؟!

- لا تقلق!.. ليس هناك شيء

فاعتدل في جلسته، ثم نظر إليه رافعًا حاجبيه لاويًا فمه وقال:

- ماذا تريد يا صهيب؟
- من طريقتك تلك أعتقد إنك تعرف إنني جئت أتسلى بك قليلاً

فابتسم له سامي بسخرية، فسأله صهيب مرة أخرى بجدية:

- لماذا تجلس هنا؟

لم يرد عليه سامي.. فاستطرد صهيب مبتسمًا:

- أنا أعرف.. ولكن يمكننا جميعًا معرفة إذا حصل شئ طارئ ونحن في منازلنا أيضًا!

فنظر له بجدية وقال:

- أنا قلق فقط... هذا الرجل لم يكن اختراقه لجدارنا عاديًا، إنه أكثر من محترف..
- وما الأمر في ذلك!، إنها محاولة من شخص محترف وهذا ديدين الجميع في مجالنا "محاولة كسر الأقوى لتكن الأقوى"
- لكن هذا ليس ما أشعر به!.. طريقته في اختراقنا كانت مختلفة، ليست محاولة عادية من شخص محترف فقط، بل بدت كخطة منه، كأنه يعلن لنا عن وجوده

فعبث صهيب وقد راوده القلق، ثم فكر قائلاً:

- ربما!.. دعنا نكن حذرين، ولنراقبه طوال الوقت
- إن شاء الله سنفعل

ثم عاد صهيب سريعًا لمرحه وطريقته الساخرة مرة أخرى وقال:

- ها أخبرني، هل انت مستعد لمهرجان الرياضة الخاص بنا أيها القطرب؟

فنظر له سامي بغيظ وهو يُطبق على مكعب الروبيك بيده بعصبية ، ففر صهيب من أمامه قبل أن يحاول إصابته به ككل مرة، وسامي يصيح بعصبية قائلاً:

- لا تنعتني بالقطرب أيها الأحمق

(٥)

فيديو ثاني...

ثلاثة أطفال صلع الرووس وندوب العمليات ترتسم عليها في جحود، ثلاثة صغار كانت على وجوههم نظرات لم تعد تنتمي لنظرات الأطفال الملئة بالمرح أو حتى علامات الخوف والذعر،

بل ارتسمت نظرات خاوية من كل شيء. كانوا جالسين أمام طاولة عليها ثلاثة أكواب كلٍ منها تقابل كل طفل منهم وملتصق برؤوسهم الصلعاء أسلاك ترتبط بجهاز كبير، ثم آمرهم شخص ما يقف أمام الجهاز الكبير بالتركيز على الكوب ومحاولة تحريكه، فنجح واحد؛ استطاع تحريك الكوب بما يقارب سنتيمترًا واحدًا، وصُعق من لم ينجح بالكهرباء التي كانت تُرسل لمراكز معينة في الدماغ. ثم مرة ثانية آمرهم بتحريك الكوب، فنجح اثنان وفشل الثالث كمرته السابقة، فظل يصعقه بالكهرباء حتى ساءت حالة الطفل وخارت قواه وهو يخرج زبد أبيض من ثغره، فأتى من خلفهم شخص حمله كخرقة بالية واختفى عن عين الكاميرا...

بعد انتهاء الفيديو...

بكت كلاً من سيلا وثائرة وسما بعد انتهاء ذلك الفيديو الذي آلم إنسانيتهن وأمومتهن. فقالت سيلا التي كانت تمسك ببطنها المنتفخ عفويًا وكأنها تحمي طفلها ببطنها:

- أنا أشعر بالسوء لأنني لا أستطيع الوصول لتلك الأطفال وحمياتهم من بطش أولئك الشيطانين

وقالت سما بلسان من ذاق الظلم على أيد هذه الشاكلة من الشياطين، والدموع تنزل من عينيها باضطراب المذعورين:

- أنا خائفة على طفلي..

ثم صاحت ببكاء هستيري، فاقتربت منها كلاً منهما يهدئان من روعها، ويطمئننها؛ حتى هدأت بعد مدة ليست بقصيرة، فقالت ثائرة التي تغلي كحمم بركان ثائر كعادتها:

- لا أريد منكما أن تيأسا من أمر الوصول إلى تلك الأطفال وحمايتها..

ثم زفرت بقوة لتخرج ما بها من غضب واستطردت:

- لقد فعلناها من قبل لا تنسيا ذلك

ثم نظرت إلى سما تبث فيها القوة والأمل:

- لقد خلصنا الكثير من الأطفال من بين أيدي من يشبهون أولئك الشياطين.. لقد استطعنا التخلص من أثير ومن على شاكلتها، لقد أعاننا الله عليهم لأننا نسعى للحق وكل ساعٍ للحق منصور.. لا تنسي ذلك يا سما.. ولا تنسي أن الله يأجر المظلوم ولا ينساه وينصره ولو بعد حين.

فطأطأت سما برأسها مؤممة على ما تقوله ثائرة، فنظرت ثائرة لهما وقالت مرة أخرى بحماس:

- دعونا نتعاون للوصول إلى تلك الأطفال، ولنصرة المظلوم

فردت كل منهما بحماس وإصرار كحد السيف البتار:

- لنتعاون
- لنتعاون

***

جلس أوس وطارق وعدي وبعض من أقرانه مع كهول وشيوخ عشيرة الأوس يتناقشون في أمر الخطر الجديد المُكتشف حقيقته على يد سامي، فقال أوس:

- عندما شاهدت الفيدوهات التسجيلية لتلك التجارب تجمدت دمائي من هول ما قد يصل إليه الإنسان من خبث وضلال وكفر.. إنهم حتى يعذبون أرواح الأطفال بتلك التجارب السريرية التي يريدون بها تغير كهربائية الدماغ أو بالمعنى الأدق تنشيط بعض مناطق في الدماغ لاكتساب بعض القدرات الخارقة كتحريك الماديات عن بعد أو التخاطر الذهني وقراءة الأفكار.. إلى آخره من القدرات العقلية المختلفة..

ثم صمت وهو يحاول استيعاب أفكارهم مما شاهده:

- إن ما يتم استخدامه من إمكانيات العقل البشري لا يزيد عن واحد من مائة من إمكانياته الحقيقية وهم يريدون أكثر من هذا لمعرفة ماذا قد يحدث إذا تفتحت مناطق جديدة في المخ البشري وكيف يمكنهم استغلاله لصالحهم!!..

ثم صمت قليلاً متنهدًا يأخذ نفسًا يُزيح عنه بعض الهول الذي رآه يحدث للأطفال واستطرد:

- وهم يريدون زيادة تلك النسبة لذا يستخدمون بعض الأطفال المختلفين كالأذكياء والمتوحدين

زادت الهمهمات المستنفرة بين المجتمعين، ثم قال أكبرهم:

- كدأب عهدنا يا أوس سنقوم بحماية المظلوم والدفاع عن الحق ودين الله ومجابهة إبليس وأعوانه

فقال طارق هذه المرة:

- أماكن تلك المختبرات في بلاد أخرى بعيدة عنا

فرد الشيخ بلا تردد:

- وإن يكن.. ثقوا دائمًا بالله وبأنفسكم فلن يضركم شيء، وعشيرة الأوس بها العدة والعتاد بفضل الله؛ فعلام القلق!

فأومأ له طارق وقد سرت القوة في كامل كيانه من ثقة الشيخ الكبير، ثم قال الشيخ مرة أخرى ليثبت أقدامهم ويبث في قلوبهم القوة والعزيمة والإصرار:

- إن دخل قلب الإنسان الخوف فُترت عزيمته وساقته شرور الأرض كالبهيمة تلعب به وتُزيده رهقا فتغلبه.. لذا إن عزمتم على شيء وخاصة إن كان للحق ونصرة الخير؛ لا تتزحزحوا عنه قيد أنملة إلا وأنتم غالبون بإذن الله

كانوا يستمعون إليه منصاعين لِما كانت في كلماته من سحر محلها دائمًا ما يكون في القلب، ثم نظر إلى ساعته وأردف:

- الآن حان وقت أن يؤذن آذان الظهر

فوقف من بينهم شابًا فتيًا واتجه مُلبيًا ينادي نداء الصلاة، وبعد أن تم رفع الآذان واستمتعوا بحلو صوته وهو ينادي لفريضة أمر بها الله تريح نفس العابد وبدنه، فريضة تستقيم بها الحياة وتُصل العبد بربه فيكون ذلك العبد في حضرة الخالق الواحد الأحد أقوى الأقوياء، لذا استقاموا واستوّا ليرحمهم الله.

(٦)

في غرفة تزينت جدرانها بنقوش زخرفية فخمة وأُسدلت على نوافذها ستائر مخملية راقية، وأثثت بأثاث فاخر عتيق ازدانت به مساحة الغرفة الواسعة لتجعلها غرفة ملكية مناسبة لأصحاب الثراء الفاحش، بجانب أنها مُلئت بالتحف والتماثيل الأثرية، خاصة تلك التي تخص حضارة أرض الأسرار.. وقف (ب.ج) أمام النافذة الكبيرة التي خلف مكتبه وهو يقول للرجل معقوف الأنف الذي يقف أمام مكتبه بصوت عميق:

- أريد مساحات واسعة أخرى من الأراضي عالية الخصوبة، وأريد أن يتم تجهيزها للزراعة في أقرب وقت، فحلمنا صار

على وشك قرع أبواب الواقع، لذا يجب أن يفيض مخزوننا حتى لا نتعرض لخطر الجوع فيما بعد

فسأله الرجل معقوف الأنف بصوت مكتوم حاد:

- هل هناك أي طلب آخر يا سيدي؟

نظر له (ب.ج) من خلال نظارته بيضاوية الإطار وقال:

- أعط أوامر للمسئولين عن المنتجات الزراعية للجوييم بأن يزيدوا نسبة الهرمونات المُسببة للأمراض الخبيثة وإخفاض نسبة الخصوبة.. أيضًا أريد زيادة الهرمونات التي تسبب وقف النمو في السلع الغذائية التي تستهلكها أطفالهم، خاصة تلك التي في مناطق الشرق

فهز معقوف الأنف رأسه بطاعة وعينيه تلتمعان كعيني شيطان، فابتسم (ب.ج) بعد أن رأى تلك اللمعة وقال:

- إنهم جوييم حقراء لا يستحقون العيش
- بالفعل يا سيدي..

ثم سرح معقوف الأنف بعينيه التي تمتلئ بالحقد والغل والحسد مستطردًا:

- خاصة أولئك الذين يعيشون في أرض الإله وأراضينا المقدسة

- لا تقلق يا إسحق، فنحن نضيق عليهم الحصار أكثر وأكثر، نحن نغرقهم في الديون الكثيرة، ونتدخل في وضع المسئولون الضعاف الذين يمتثلون لأوامرنا في أكبر المناصب لتضييق الحال على شبابهم في العمل والحياة والترفيه، شبابهم الذين نغرقهم في وحل الشهوات والرذيلة عندما نفتح لهم أبواب يعتقدون إنها متنفس لهم

***

على ذات الأرض التي يعيش عليها (ب.ج)؛ تحلق خمسة أفراد أمريكيون أمام شاشة الجهاز اللوحي الخاص بأحدهم وهم يشاهدون فيديو كان تم نشره عام ٢٠٠٩، لكن لسببٍ ما لم ينتشر بشكل سريع بين الناس، كان محتواه عبارة عن مقابلة بين شخص ما والدكتورة ريما لايبو التي كانت تحذر من خطر منظمة الصحة العالمية لقدرة تلك الأخيرة على تخفيض عدد البشر بصناعة اللقاحات التي تسبب العقم الدائم، وكان هذا ما قررته منظمة الصحة بشكل سري،.. وبعد انتهاء آخر فيديو كانوا يشاهدونه قال أحدهم وكان ذو شعر أحمر لامع:

- ما هو تعليقكم؟

رد آخر كان صاحب عينان زرقوتان واسعتان:

- أصدق أمر اللقاحات التي تعمل على التسبب بالعقم الدائم.. انظروا إلى حال أوروبا وحال دولتنا، أوروبا تُسمى الآن بالقارة العجوز لانخفاض نسبة المواليد بشكل كبير، نحن الأمريكان تفشى بيننا النزوح عن الإلتزام بمسئولية زوجة وأطفال، نساء أمريكا لم يعد يرغبن في إنجاب الأطفال بسبب النظام الرأسمالي الذي يضغط الجميع -وخاصة النساء- و يجعل الجميع يجري كالثور لكسب الأموال

فسأله ذو الشعر الأحمر:

- وما رأيك؟

فقاطعه صاحب العينين الزرقوتين بتذمر:

- لا تكون متسرعًا يا أليكس ما زال هناك تعليق آخر على موضوع اللقاحات

فابتسم أليكس وقال متأسفًا:

- هذا عهدي دائمًا!.. أرجوك أكمل

فاستطرد مجددًا:

- أصدق أن تحتوي اللقاحات على مادة السكوالين التي تجعل جهاز المناعة يهاجم الجسم ويساعد على نشر حالة الاستنفار والألم في الجسم، وأصدق أن الجائحة التي ذكرتها الدكتورة

ريما لايبو ربما ستكون قريبة وستفتعل عن طريق بخاخات الأنف التي ستجعل من انتشار الفيرس كارثة..

ثم صمت قليلاً، وهو يقول بأسف وخجل:

- فوطننا قد فعلها قبلاً، ولقد اعترفت الحكومة بذلك مؤخرًا مُرغمة لكثرة الأدلة التي تدينها أمام العالم والبلاد التي قامت باحتلالها بقيامها بتجريب الأدوية المشكوك بها على السكان المحليون، أو بإفشاء أمراض مثل الزهري والإيدز لعمل التجارب السريرية لإيجاد الدواء.. فلم تحترم منظمة حقوق الإنسان أو منظمة الصحة أو بلادنا الإنسان كما يزعمون على الملأ

ثم نظر لأليكس مرة أخرى وقال له:

- لقد انتهيت

فهز أليكس رأسه وقال:

- أنا أوافقك.. وأعترف بفداحة ما قام به مسئولي دولتنا

فقال آخر اسمه بين، ذو شعر ذهبي لامع؛ بكآبة:

- دعني أضيف أيضًا يا جاك أن عام*** كانت حكومتنا تضع العقاقير المسببة للعقم للسكان الأصليين لأمريكا في الماء، بجانب إنهم قاموا عام ١٩٧٣ حتى عام ١٩٧٦ بتعقيم النساء

الأمريكيات الأصليات من خلال إجراء عمليات جراحية لهن دون معرفتهن بأنه تم إزالة أرحامهن، .. لقد رأوا بعد كل عمليات الإبادة التي قاموا بها ضدهم أن يكافئوهم بتقليل نسلهم دون أن يعرفوا.. لذا أنا لا أشعر بالأمان في الوطن الذي ولدت فيه وكبرت، بسبب حفنة من المرضى الذين يروا أن لهم الأحقية في كل شيء حتى في التحكم في حياة الفرد بأن يموت أو يعيش

فوافقه آخر يملك شعر مثل شعره الذهبي ولكن كانت ترتسم على وجهه ملامح أكثر ألمًا من ملامح الكآبة وكأن شيئًا ما بداخله قد كُسر:

- أنا أوافقك يا بين، أنا عائلتي مسيحيون إنجلييين وهم متدينون لأقصى حد، للحد الذي كانوا فيه يلقونني كل ما كُتب عن النبوءة التواراتية الإنجيلية دون أي تراجع ودون أي نقاش.. إنهم يعتقدون أن اليهود هم شعب الله المختار وكل من هم غير اليهود سيئين، وأن الله عندما أعطى بركته عندما خلق الأرض أعطاها لليهود، وأن الأرض المقدسة لهم ولذريتهم من الفرات للنيل

ثم أخذ نفسًا طويلاً من شدة الافتعال الذي كان يزيد مع تذكره بما حدث له، واستطرد بعدها:

- لهذا دائمًا منطقة الشرق مليئة بالحروب!، أنهم يخططون لهذا منذ زمن، فهم يرون أن أي سلام في تلك المنطقة يعتبر إثم أمام الله، وغير هذا هم يؤمنون بأن المسيح المخلص سينزل النزول الثاني بعد أن يموت الكثير من العرب وأطفالهم في معركة هرمجدون التي ستسيل فيها دماؤهم

ثم نظر لأصدقاءه بعد ما كان ينظر إلى اللاشئ وقال بتعابير خاوية:

- وعندما كنت أفكر بعكس ما كانوا يلقنونه لي؛ كنت أُضرب، وأحبس، ويُمنع عني الطعام...

فنظر له أصدقاءه بأسى وهم يعبرون عن مدى آسفهم ببعض الكلمات اللطيفة لمواساته على المعاناة التي عاناها.. ثم سأله أليكس:

- في ماذا كنت تفكر عندما كانوا يلقننونك كل تلك الأمور يا تيد؟

ابتسم بسخرية وقال وهو يتذكر:

- عندما سألت والدي مرة وأنا أفكر في كل ما قيل لي **"أبي هل أطفال اليهود هم أفضل مني ومن إخوتي؟"**.. نظر لي بتوجس وقال **"لماذا تسأل هذا السؤال؟"** قلت له **"أحاول أن**

أفهم ماذا علىّ أن أفعل عندما أتعرض للظلم من يهودي آخر"، فرد علىّ بنفاذ صبر وقال **"لن تتعرض للظلم على أيديهم"**، فقلت له **"كيف وهم يحق لهم أخذ أي شيء، كيف وهم يرون إنهم أفضل منا، بل أفضل من في العالم؟!"**.. فسألني وهو يضغط على ساعدي بقوة وبعنف **"من يخبرك بكل هذا الهراء؟"**، فقلت له بتحدي **"أنت يا أبي"**، فنظر لي بغضب، ثم قال **"أنت معاقب"**

ثم شرد قليلاً وهو يتذكر تلك الذكريات المريرة، واستطرد:

- ثم مرة أخرى وأنا بالصف الثالث الثانوي تجرأت وأخبرتهم بما يعتمر به قلبي، قلت لهم أن مسيحهم المخلص شيطان لا يأتي إلا بقرابين الدم، خاصة دم الأطفال.. ووقتها نلت كل العقوبات البشعة في وقت واحد..

حينها تنهد بكآبة وهو يسترسل ما فعلوه به:

- لقد حبسوني معلقًا من أطرافي لأسابيع في إحدي الأديرة البعيدة، جلدوني كي أبرأ من خطاياي.. خطاياي التي لا أعلم ما هي بالضبط!؛ هل لأنني لا أوافق عل تلك العنصرية و لا أحب رؤية الدماء خاصة دماء الأطفال الأبرياء!.. عندما رأيت إنهم لن يتراجعوا إلا بعدما أقتنع بما يقولونه، لأنني إن لم أقتنع سأموت لا محالة، فتماشيت معهم وأعلنت لهم ما

أرادوه مني منذ البداية، لكنهم كانوا لا يريدون إطلاق سراحي حتى يتأكدوا من ولائي، فظللت معهم عام كامل أذهب فيه للكنيسة واكفر عن خطاياي أمام القس ليغفر لي، ثم أشاركهم التعصب ناحية العرب والتعصب لأجل الدين الذي بت متأكد إن هذا الدين الذي يعتنقه أهلي هو دين شيطان زنيم وترانيمه سحر يأسر بعقول عائلتي وغيرهم من الناس.

فسأله بين متلهفًا:

- وماذا فعلت بعدها؟
- لقد هربت بعد ذلك العام من البيت، وانتقلت إلى نيويورك، ثم غيرت اسم عائلتي، وعشت حريتي التي فقدتها لذا بحثت بشكل أعمق وقرأت الكثير من الكتب التاريخية في بداية الأديان بشغف وتأكدت من شعوري.. فهذا الدين منبثق بعد دخول عدد كبير من اليهود إلى المسيحية، لذا لم أعد أرى الإيمان بالنبوءات التوراتية غريبًا في المسيحية الإنجيلية، ولا بوجود تلك الأفكار التي تنتشر بين معتنقيها

فقال جاك:

- لقد عانيت حقًا يا رجل مع كل هذا التعنت!

وسأله صديقهم الخامس الذي يسمى "إيثان":

- وما هو دينك الآن؟.. أم إنك فقدت الإيمان؟
- لا لم أفقد إيماني بأنه هناك خالق وهناك دين حق، أنا حاليًا أتعمق في قراءة المقارنة بين الأديان وأشعر إنني أميل إلى دين الإسلام

فسأله مرة أخرى مضيقًا عينيه بتركيز:

- ولماذا الإسلام تحديدًا؟
- لأنه الدين الأكثر منطقية بين كل تلك الأديان من حيث الإقناع، ولأنه دين لم يُسئ كتابه المقدس أو سنتهم كما يقولون إلى الرسل السابقة ولا إلى رسوله بأي فعل فاضح، كما يوجد في التوراة والتلمود والأناجيل عن أشياء فاضحة وصفات سيئة وسموها بأنبياءهم ورسلهم والرسل السابقة، وذلك يثبت بأنهم حرفوها كما يقول المسلمون.. حقًا أريد أن أسألهم كيف يدينون بدين أولئك الأنبياء وقد كُتب عن أكثرهم قصص قبيحة وقذرة في حين أن البشر منهون عنها، بل أولئك الأنبياء مبعوثون من الخالق لنهينا عنها، أريد أن أفهم كيف فعلها بني إسرائيل بكل ذلك الجحود، لكن لا شيء يجعلهم يفعلوا ذلك إلا لأنهم يريدون فعل تلك الأشياء القذرة، لأن داخلهم ملئ بالشهوات التي لا يريدون الابتعاد عنها

ثم أخذ شهيقًا ليُهدأ من انفعاله وغضبه، ليكمل:

- هذا يجعلني حقًا أتأكد مائة بالمائة بجانب ما قرأته بالتفصيل الممل أن الكتب المقدسة الميسحية واليهودية مُحرفة كما يقول الإسلام وكما تؤكد لي استنتاجاتي من قرائتي للتاريخ ونشأة الأديان، هذه الأديان حرفتها الشياطين بلا شك

هز إيثان رأسه وهو يقول:

- كلماتك تلك أخبرني بها صديقان لي من قبل، ولا يعرفان شيئًا عن بعضهما البعض، لذا أعتقد أنها كلمات صادقة خرجت من عقلك وقلبك للتو، وأظنك أقرب للتدين بالإسلام لأنهما أسلما بالفعل

فابتسم له تيد بأريحية، ثم قال أليكس الأصهب:

- لا مانع عندي أنا أيضًا من القراءة في دين الإسلام، فأنا لم يعد عندي ثقة فما يقوله الإعلام الأمريكي بعد الآن؛ خاصة عن الإسلام وكل رائديه هم اليهود الصهاينة الراغبين في وجود إسرائيل

فقال جاك:

- وأنا كذلك

ووافقهما بين وإيثان كذلك، واتفق الخمسة على أمران، أولهما أن الشياطين تحكم وأتخذت أمريكا التي ترعرعوا فيها مقرًا لهم،

وثانيهما أن الإسلام دين يجب البحث فيه طالما أن كل هؤلاء الشياطين يحاربوه ويحاربون معتنقيه.

وكما أمر الله لدين الإسلام أن كلما حاربوه اشتد وكلما حاولوا تدميره امتد.. إنها كلمة الله وكلمة الله هي العليا.

***

(٧)

أمام شاشة تظهر عليها المؤشرات الحيوية للكائن الذي كان يتحرك منذ يوم وقف ذلك المتشح بالسواد ينظر بحسرة وألم إلى تلك المؤشرات وهي تتداعى بجنون، وقف عاكصًا حاجبيه بعدم رضا وهو يصرخ بعصبية:

- لمـــــاذا؟!!!

ثم أخذ يُحطم كل شيء تطوله يداه وهو يصرخ ويزوم، وبعد أن أفرغ شحنة الغضب التي بداخله وأُنهك تمامًا جلس على الأرض ينظر للشاشة الكبيرة التي أمامه يتابع بعينيه انحلال الجينات الخاصة بالكائن، كان هذا يسبب له ألمًا شديدًا وضيقًا بسبب الجهد الضخم الذي بذله على هذه التجارب مائة، أيضًا بسبب الخوف من

الفشل أمام من أعطوا له تلك الفرصة وأرادوا منه أن تنجح مائة بالمائة، تلك الفرصة التي حاول الوصول لها باستماتة ولن تكون متاحة مرة أخرى!.. كما أنه أراد أن يكون سريع الخطو على سلم النخبة ليكون بينهم ويحظو حظوهم من الحكم والسلطة النافذة.

لذا قرر بعد أن لفظ الكائن أنفاسه الأخيرة أن يقوم باستخدام التجارب الأخرى التي قامت على تعزيز جين الإنسان نفسه وتغيير الأطراف والعظام إلى أخرى فولاذية تجعله لا يُقهر ولا يُقاوم والتي أجرتها مختبراتهم السرية ونجحت نجاحًا باهر، على الرغم من أن هذا يتعارض مع الاتفاق الأصلي بعمل تجارب مختلفة تجمع ما بين جين الإنسان والحيوان، لكنه صبّر نفسه بفرصة الوصول إلى عشيرة الأوس المختلفة التي قد تجعل تجاربه المستحيلة تنجح، فينجح هو الآخر في نيل رضا جماعته.

فقام من مجلسه عازمًا على الوصول إليهم أكثر من ذي قبل، ثم اقترب من الكائن الميت الذي تهالك جسده وتفسخ، ونظر إليه بإصرار أحمق ثم خرج من الغرفة إلى الغرفة المجاورة، وأوقف عمل الأنبوب الذي يحفظ الكائنة الممسوخة، ثم خرج إلى القبو وأحضر ما يلزم للتخلص من تلك الجثتين... وبعد عدة ساعات جلس أمام فتاة الغرفة الثالثة التي كُتب على بابها كلمة "خطر"، كانت ممدة على السرير أمامه وحولها الكثير من الأسلاك، ومُعلق

بأوردتها عدة من المحاليل، ثم قال لنفسه بصوت مسموع: **"لم يعد في جعبتي إلا أنتِ.. أنتِ وهم من مثلك دلالة على القوة التي أبغى الحصول والسيطرة عليها، بل وصنع مثيلها"**، فتعالى صوت جهاز ضربات القلب، فابتسم بخبث ودناءة ونظر للرقاقة التي يمسكها من بين يديه وقال: **"أعلم!.. أعلم مدى غضبك عليّ الآن، وأعلم مدى شراستك وصعوبة ترويضك"**، ثم رفع ما يمسكه بيده كأنه يريها إياه وقال: **"ما بيدي سيكفل لي ترويضك لتصيري تحت بنان إصبعي"**، فصفر جهاز ضربات القلب الموصول بها عاليًا، يعلن عن مدى تمردها وغضبها العارم، فضحك مستهزئًا بضعفها الذي صارت عليه بعد كل تلك العقاقير التي تفصل روحها عن جسدها فلا تستطيع التحكم بأي شيء.. لكنه لم يكن يدرك بعد مدى قوة تلك الروح العنيدة لتلك الفتاة، ولم يؤمن بما قد يحمله الله له بالغد من مفاجآت. ثم خرج عازمًا على ما قد قرره وأتخذه سبيلاً.. اصطياد فرائس يصلحون لتجاربه الأخرى.

***

(٨)

وقف الجميع على قدم وساق يجهزون المكان للمهرجان الرياضي السنوي الخاص بعشيرة الأوس، ووقف أوس بينهم يربط وسادات الأمان في حلبات القتال ومن خلفه وقف طارق متوترًا، فشعر به، والتف له قائلاً:

- ما خطبك يا طارق؟.. منذ الصباح وأنت على هذا الحال

نظر له طارق مُتعبًا و قد ظهر عليه هذا جليًا، ثم قال:

- أنا قلق على سيلا.. أخشى عليها كثيرًا من حملها هذا.. والوساوس لا تتركني أرتاح أبدًا..

ارتجف قلب أوس سريعًا، ولكنه ثبت متوكلاًا على الله، ثم قال له، مطمئنًا إياه:

- اطرد وساوس الخناس من قلبك يا طارق ولا تخف، قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وإذا كتب الله لنا أمرًا فهذا الأمر يكون على قدر طاقتنا.. سلم أمورك لله واطلب منه ما تشاء إنه سميع مجيب

ثم تنهد واستطرد:

- إن شاء الله لن يحدث لسيلا أي مكروه، كما أن الرعاية الطبية هنا أفضل من أي مكان آخر، ونحن جميعًا هنا بجانبها ومعها

هدأ طارق قليلاً وارتخت ملامح وجهه المشدودة بخوف قليلاً، ثم قال متنهدًا وكأنه يزيح جبال ثقيلة تجثم على قلبه:

- إن شاء الله

وبعد هنيهة من الصمت قال:

- كنت أتمنى أن أرافقك في هذه الرحلة التي ستقوم بها قريبًا، ولكني لن أستطيع إلا بعد أن تلد سيلا على الأقل
- أعلم ذلك يا صديقي، ولكن ربما تتحقق أمنيتك، أشعر أن سيلا على وشك الوضع

- أتمنى أن يُولد المولود سليمًا معافى وكذلك سيلا حتى أرتاح من كل قلبي قبل أن أذهب
- لا تقلق إن بعد العسر يسر

ثم بعد برهة قال له طارق مرة أخرى:

- لقد أخبرتني سيلا بالخطة التي سيتبعوها لفضح ما يفعله هؤلاء المجرمين من أفعال شنيعة، ولقد أعجبتني
- لقد أعجبتني أنا أيضًا، فأمر كهذا لن تصدق الجماهير وجوده بسهولة، لن يصدقوا خبرًا يظهر لهم فجأة يخبرهم بوجود مختلون يفعلون كما يفعل المختلون في أفلام الخيال العلمي، لذا طريقة إثارة انتباههم وجعلهم يبحثون بأنفسهم أفضل بكثير، ثم إن هذه الطريقة ستوهن من أولئك الذين سيهاجمون الأخبار التي سننشرها بإذن الله
- إنها فكرة رائعة منهن.. إن سيلا متحمسة طوال الوقت، وتبحث في كل الكتب ببطنها المنتفخة، وأخاف عليها من هذه الحماسة؛ خاصة عندما تجتمع بثائرة!

فضحك أوس قائلاً:

- إن ثائرة لا تجعلني أنام إلا بعد ما تخطب فيّ مقالاتها وما ستنشره كما إنها تتخذ سيلا كجوجل الآمن من التزوير

فضحك طارق بالمثل وقال:

- كان الله بعونك... إن ثائرة شعلة متقدة، وسيلا حقًا ذكية، لا أعرف كيف تحفظ كل تلك المعلومات، والأغرب إنها معلومات من كل نوع كالطب والهندسة والتاريخ والجغرافيا.. إلخ
- إن أختي أوسية أصيلة

***

جلست سيلا بين ثائرة وطيبة وهي تتآوه، فتقول لها ثائرة بقلق:

- بماذا تشعرين؟

ثم قالت طيبة بلهفة:

- ماذا عليّ أن أفعل لكِ حتى ترتاحي؟

فقالت بصوت مكتوم خرج من بين أسنانها من شدة ضغطها عليها:

- هناك ألم في أسفل بطني وطفلي يتحرك كثيرًا..

ثم نظرت لطيبة وقالت:

- خذيه قليلاً من بطني لأرتاح لبعض الوقت فقط

فضحكت ثائرة وهي ترى توتر طيبة وقلقها، ثم قالت:

- لا تقلقي يا سيلا، أعتقد أن طفلك يستعد للخروج عما قريب.. لكن لا تخيفي طيبة أكثر من هذا فالمسكينة ستخاف مستقبلاً

فنظرت سيلا مع ثائرة إلى طيبة التي احمر وجهها وهم يبتسمون بخبث، فقالت الآخيرة بعصبية ونفاذ صبر:

- ما أمر تلك النظرات والهمسات التي كلها تدور عني بالضبط؟

فقالت سيلا تُهدأها:

- لم نفعل أي شيء يا طيبة لتغضبي هكذا

ثم قالت ثائرة مبتسمة:

- أنتِ يا عزيزتي تتوهمين شيئًا ما!

فتأففت طيبة وتحركت بعصبية وهي تثني قدميها جالسة كعبلة كامل في مسلسل لن أعيش في جلباب أبي عندما تطلقت بناتها، وقالت:

- لا، أنتم تعلقون دائمًا على...

فاقتربتا من وجهها وهم يحثونها على الاعتراف:

- على مـــــاذا؟....

فتراجعت برأسها فزعًا عندما انتبهت إنها ستقع في بركة من الوحل، إذا خرج ما يدور برأسها ولم يكن صحيحًا، فآثرت الصمت حفاظًا على ماء وجهها، لكن لم تتركها المرآتان بحالها، حتى قالت:

- بل قولا لي عن ماذا أنتما تتهامسان بالضبط.. فأنا ألاحظ أنكما تعلقون على أشياء كثيرة تخصني وكأنني وسيلة مرحكم في هذه العشيرة

فيأست كلاً منهما على حثها على الكلام وصمتتا، فابتسمت طيبة بمكر، مزهوة بذكاءها الذي خلصها من تسائلهما، لكنها فكرت قليلاً وهي تتسائل في داخلها: **"إن كانتا يلاحظان شيئًا فهل هذا يعني أن ما أفكر فيه صحيحًا؟!"**، ثم هزت رأسها سريعًا تنفض عنه تلك الأفكار لتخرج نفسها من ويلات التفكير في أشياء وهمية، وسألتهما بانتعاش حاولت جلبه:

- صحيح ما أمر تلك التجارب؟

فأجابتها سيلا:

- إنهم يحاولون خلق كائن جديد يجمع بين الإنسان والحيوان ،ولكن طبيعي أن تفشل تلك التجارب الخبيثة، فهم ليسوا بقادرين على خلق ذبابة كما قال الله تعالى.. لكنهم نجحوا في التعديل الوراثي على الإنسان ليكون أقوى من الإنسان العادي

بمراحل، ويتحمل الألم لأقصى حد، ليكون بلا مشاعر ولا تردد، وأكثر شراسة

فقالت طيبة مستنفرة:

- ولكنه مهما حصل سيحمل قلبًا

فقالت ثائرة حينها:

- هنا يأتي دور صناعة الرقائق الإلكترونية التي سيكون هدفها الحقيقي هو السيطرة على الإنسان بالكامل وبالتالي لن يكون هناك أي ثغرة
- إنهم حقًا مرضى مختلون

ثم أردفت مجددًا:

- أريد أن أشاهد هذه الفديوهات

***

وقف صهيب متضاحكًا مع سامي الذي كان يقف بدوره فرحًا ضاحكًا، ثم قال الأول:

- يا لك من مصيبة يا سامي!.. لو علم ذلك الأحمق ما فعلت به سيجُن بلا شك

فابتسم سامي بلؤم وقال:

- وأنا أريد هذا.. سأحطم غرور هذا الأحمق

فرفع صهيب حاجبه الأيسر كعادته بحماسة وهو يقول:

- وسيسرني هذا، لكن اجعل لي نصيبًا من تحطيمه
- لك ذلك طالما أردت هذا

- ولكن يا سامي لقد أصبحت مخيفًا بحق.. كيف استطعت خداعه

فعكص سامي ما بين حاجبيه وهو يحاول أن يقول بجدية:

- لم يكن خداع، هذا الأحمق هو من يُخدع منذ البداية؛ يريدنا أن نعرف ما يريدنا أن نعرفه؛ لا أن نعرف حقيقته، ولكنه فشل، حتى اسمه الحقيقي لم ينجح في إخفاءه

فسأله صهيب:

- ما اسمه؟
- اسمه ديفيد.. شخص ليس من وطننا، مستعرب، تعلم لغتنا ولهجتنا، كما تفعل الدول المتعادية بأن تبث رجالها بين شعب الدولة التي تعاديها وتجعله يتكلم مثلما يتكلمون وأكثر، إما يكونوا جواسيس، أو مجرد أداة لنشر الفتنة بشكل أو بآخر، وهذا الديفيد الذي يسمي نفسه أدهم جعل مقره هنا بيننا لدراسة قدراتنا النفسية والجسدية وعمل التجارب اللازمة

عبث صهيب وقال:

- إنهم كالأخطبوط، لهم ذراع في كل جهة!

فابتسم سامي لتشبيهه الذي لاق بهم، ثم استطرد:

- ديفيد هذا مغرور بشكل لا يوصف، وهؤلاء الذين يعتدون بأنفسهم بشكل هستيري يسهل تحطيمهم، حتى وإن كانوا بالفعل أذكياء، لأنهم لا يعترفون أبدًا أن هناك من يستطيع التغلب عليهم أو هناك من هم أذكى منهم.. في البداية أوضحت لي طريقته بأنه ليس مجرد شخص عابر، بل يريد حقًا معرفة موقعنا، ولأنه شخص يهوى الصيد التكتيكي أكتفى برمي الطعم حتى نصل إليه نحن بأقدامنا كما يريد بالضبط، فهو لن يخاطر بنفسه ويأتي إلينا.. ويبدو أنه يحتاج شخص واحد من عشيرة الأوس على الأقل حتى يقوم بتجاربه الخاصة عليه ليرى إن كان سينجح أم لا

غضب صهيب وفار الدم في عروقه وهو يسبه في عصبية ويداه تتكوران بشدة كأنه يستعد لضربه كأنه أمامه:

- هذا المعتوه القذر
- إنه حقًا معتوه مجنون.. إنه مهووس بالقوة الخارقة، وصناعة كائنات جديدة يستطيع التحكم بها وبقدرتها
- ماذا يحسب نفسه هذا المختل؟!
- كما ترى.. لن تستطيع قولها..

ثم استطرد سامي:

- لقد جعلت أصيل توهمه بأننا التقطنا الطعم، حتى أستطيع أنا مهاجمته من الخلف وهو مشغول بكم

فقال صهيب مبهورًا:

- أنت حقًا ذكي يا صديقي

فنظر إليه سامي باستغراب وهو يتذوق تلك الكلمة الأخيرة التي خرجت منه، فابتسم صهيب بعذوبة وقال:

- لماذا أنت مستغرب هكذا؟

فانعقد لسان سامي وهو لا يدري بماذا يرد عليه، فقال صهيب مرة أخرى بنفس تلك العذوبة:

- تظنني خصمك لأنني دائمًا أتحداك وأشاكسك، أليس كذلك؟

فأجاب سامي معاتبًا هذا المرة:

- نعم!
- دعني أصارحك سبب هذا.. لقد كنت خصمًا لي أمام الفوز بقلب طيبة، لذا كنت أتحداك دائمًا

فاتسعت عيني سامي بجدية، ليستطرد صهيب مُلطفًا:

- لا تتوتر هكذا، أنا أصارحك فقط، أردت أيضًا أن أوضح لك شيئًا قد استضاح أمره بين جنبات نفسي... لطلاما أُعجبت

بقوة شكيمة طيبة وشخصيتها المجنونة التي كانت تتماشى مع جنوني وشخصيتي فظننت إنني أحبها، ولم أشعر بهذا إلا عندما لم أفز بقلبها ورأيت في عينيها ميل إليك أنت

اتسعت عيني سامي أكثر من المفاجأة، فضحك صهيب وهو يقول:

- نعم أيها الأحمق؛ إنها منجذبة لك أنت، رغم تمسكها بصفات خاصة جدًا في الشريك الذي تبغاه.. عندما رأيت هذا فيها لم يتحطم قلبي ولم أحزن، بل شعرت إنها مجرد شخص عابر أُعجبت بشخصيتها واحترامها وليس هناك أمرًا آخر غير هذا

ثم وضع يده على كتفه بمودة وقال مرة أخرى:

- ولكني اكتشفت أمرًا آخر.. مشاكستي لك كانت لانبهاري بشخصيتك وذكائك.. ويسرني أن نكون أصدقاء

فابتسم سامي بالمثل، وهو يضع يده بالمثل على كتفه، لتنمو بعدها جذور التعاضد والألفة بينهما، فيُصبحا صديقان منذ تلك اللحظة.

***

قالت طيبة بعد أن قامت بمشاهدة الفيديوهات وهي تضرب كفًا بكف:

- يا الله!، كيف يكونون بلا ضمير هكذا!.. إنهم حقًا مختلون

فقالت سيلا بإيمان كمن رأى كل شيء من قبل:

- يكثر الفُسق والفجار ويكثر خبثهم ثم تأتي عاقبتهم الوخيمة وتمحي كل ما بنوه وصنعوه، بل تدكه دكًا

وصاحت ثائرة وهي تقول:

- فليحترقوا في الدنيا وليحترقوا في الجحيم.. إنهم يستحقون

وبعد هنيهة قالت طيبة بقلق ينافي طبيعتها القتالية:

- وهل سيذهب أخي وزوج أختي وأفراد عشيرتي إلى تلك البلاد البعيدة والتي يكثر فيها هذا الخبث!.. إنهم يذهبون إلى عش الدبابير بأرجلهم!

فارتخت ثائرة بخوف، لكن سيلا برغم شخصيتها الرقيقة قالت ما كانت ستقوله كل أنثى أوسية من عشيرة الأوس:

- هذا ديدينا وعهدنا يا طيبة، نحن لا نخاف في السعي إلى الحق.. وهم إن شاء الله في معيته سبحانه

فثبتت أقدامهم المرتخية وتوكلوا على الله، لكن ثائرة قالت بشيء من الحنين:

- سأشتاق لأوس كثيرًا

فابتسمت سيلا بنفس الحنين وقالت:

- وأنا أيضًا

فنظرت لهما طيبة بسخرية وهي تكتم ضحكتها، فانتبهت لها ثائرة وضيقت لها عيناها وقالت:

- في الغد سنرى ماذا ستفعلين!

فضحكت طيبة وهي تقول:

- اعذراني فأنتما لم تريا كيف كان وجهيكما وأنتما تنظران إلى اللاشئ ببلاهة هكذا...

ثم قلدتهما.

فألقتها سيلا بالوسادة التي كانت خلفها وهي تقول:

- نحن ننظر هكذا!!
- نعم!

فأمسكت ثائرة بيد سيلا تُعدل من جلستها مرة أخرى وهي تقول:

- اتركيها يا سيلا، غدًا سنرى العجب والعجاب

فاندفعت طيبة تنفي ما قالته ثائرة وكأنه تهمة خطيرة وهي تقول:

- أبدًا!... أنا لا أفعل مثل تلك الأمور المحرجة!

فضحكت الفتاتان، ثم قالت ثائرة:

- كان قبلك أشطر
- أنا غير، أنا أختلف
- حسنًا سنرى!

ثم عادت سيلا لجديتها مرة أخرى وهي تقول لهما:

- أظن أنكما تعلمان الآن ماذا فعل سامي بذلك الشخص الذي حاول اختراقنا؟

فأجابت ثائرة بنعم، وعكصت طيبة ما بين حاجبيها وهي تنظر إليهما بعدم فهم ثم قالت:

- ماذا فعل؟

فأكملت ثائرة هذه المرة دفة الحديث وقالت:

- لقد استطاع اختراق خصوصية ذلك الشخص، وبالمناسبة اسمه المزيف أدهم والحقيقي ديفيد

فلم تستغرب وقالت:

- أعرف هذا بالفعل، ولقد فعلتها أصيل عندما كنا نحاول حماية جدارنا من اختراقه ومن محاولته في معرفة أسرارنا
- ما فعلته أصيل كان هو الطعم الذي أراد به سامي اصطياد ذلك المدعو ديفيد

ثم أكملت سيلا:

- لقد شك سامي بأن ما تتعرضون له حيلة ذكية من شخص محترف، ورأى من طريقة ذلك الديفيد أنه ليس هاوٍ، أو حتى مُجرب، بل شخص يعرف ماذا يفعل جيدًا، لذا جعل أصيل تقوم باختراق ذلك الشخص كما أراد هو حتى نجعله يظن إننا أكلنا الطعم، ثم قام سامي باختراقه حقًا، اخترق كل أجهزته

واخترق كاميراته ورأى كل ما يدبر له، لكنه لم يصل إلى غرفة معينة من الغرف الثلاث؛ لأنه لم يجد ما يوصله بها

فهزت طيبة رأسها بمزاجية سوداء وصمتت كصمت الوحدة المزعج، لتنظر لها الفتاتان بارتياب، فسألتها سيلا:

- ما خطب تلك النظرة السوداء التي على وجهك

فردت كأنما كلماتها كانت كالمادة التي جعلت من بركان خامل بداخلها يشتعل:

- لماذا تقولان لي الآن؟!.. كان من الأفضل ألا تقولا لي من الأساس، فأنا هنا كالمقعد أو أي جماد لا أهمية له، ولا فائدة من أن يعرف أي شيء ؛ لأنه بلا فائدة

تفاجأت الفتاتان من طريقتها العصبية، فقالت سيلا موضحة:

- أنا لم أعرف إلا منذ قليل عن طريق طارق

وقالت ثائرة:

- وأنا كذلك.. وبالتأكيد شأن أوس وطارق كشأننا لم يعرفا إلا منذ قليل، وليس كما تتوقعين أننا نعرف منذ بداية تخطيط سامي لهذا

غضبت سيلا وتوقفت عن تبرير ما حدث ثم صاحت بعصبية وحدة ليست معهودة منها:

- يجب أن تكفي عن طريقتك تلك يا طيبة.. تلك الطريقة تجعلك تظنين الظنون السيئة كالغدر والخيانة، ونحن هنا قوم متعاونون ولا نعرف للخيانة والغدر طريق، فكفي عن هذا!، لا أحد يزيحك عن مكانك، ولا يراكِ كما ترين نفسك، كفي عن تلك الأوهام، أنتِ لم تعدي صغيرة بعد الآن!

فدمعت عيني طيبة بسرعة ولكنها كتمت ذرفها بأقصى ما لديها من قوة، ثم أخذت نفسها بسرعة وتركتهم وخرجت من الغرفة مسرعة، لكن لحقتها ثائرة سريعًا وأوقفتها على باب البيت وأمسكت يدها توقفها، لكنها سحبتها بسرعة كبيرة وجرت إلى الخارج على الفور.

فدخلت ثائرة حزينة عليها، ثم اقتربت من سيلا التي كانت هي الأخرى نادمة لأنها كانت صارمة هكذا معها لأول مرة في حياتها، وقالت معاتبة:

- لماذا عنفتيها هكذا يا سيلا؟!

فدمعت عيني سيلا وقالت:

- لأجل مصلحتها.. لقد كبرت وبطريقتها تلك قد تخسر أقرب المقربين إليها

فقالت ثائرة:

- عندما قابلت طيبة وتعرفت عليها وجدتها لا تثق بفكرة الناس عنها، عندما تمدحونها تظنها أحايين كثيرة مجاملة، ترى دائمًا أنها لم تقدم أقصى ما عندها وتظن أنكم ترون هذا أيضًا، رغم إنها ماهرة جدًا وتؤدي عملها على أكمل وجه!.. يا ترى ما الذي تعرضت له طيبة لتصير بتلك النفسية الهشة

فتنهدت بألم وأردفت:

- عندما مات والدنا كانت طيبة صغيرة جدًا فلم تعي وجوده ولم يعلمها بنفسه كما علم آباء القبيلة أبناءهم، كانت دائمًا وهي صغيرة تنظر إلى أقرانها وهم يشرحون ماذا علمهم والدهم، وماذا قال والدهم، وماذا فعل والدهم، ثم تأتي إلينا وهي تقول أنا لا أفعل الأمور صحيحة لأن والدي لا يعلمني بنفسه، كانت ترى نفسها أقل قدرًا في كل شيء لأن والدها لم يعلمها كما جميع أقرانها، ومن هنا بدأ الأمر وصارت تعوض ذلك بعصبيتها وطريقتها المجنونة تلك لسد ذلك النقص الذي تشعر به لتجعل نفسها في نظرها قوية وأن جميع من حولها هم المقصرون وليست هي..

ثم بكت سيلا بحرقة، فاحتضنتها ثائرة وقالت لتريح لها قلبها:

- لا تحزني، إنها سهلة الإرضاء جدًا، وهي تعلم مدى حبك لها، سأجعل أوس يبحث عنها ويتكلم معها

ثم أخرجتها من صدرها ونظرت إليها وهي تقول لها:

- لا تقلقي!

فهززت سيلا رأسها بطاعة

***

مرت طيبة مهرولة وهي تبكي من أمام عيني سامي وهو في طريقه إلى بيت ثائرة، ففزع قلبه وشعر به هاويًا أسفل قدمه وهو يسأل نفسه بقلق: **"لماذا تبكي؟"**، ودون أن يفكر كثيرًا هرول خلفها وهو يناديها بجنون، وما إن اقترب منها حتى وقف أمامها يعترض طريقها وهو يسألها فزعًا ما الخطب، ولكن ما إن رأته ورأت عينيه الفزعة والتي رغم الفزع كانت عيناه يسكنها نوع من أنواع السلام؛ السلام الهادئ الآمن المريح للنفس، فارتخت أعصابها وبكت كأنها لم تبكي من قبل، أزالت من على روحها عباءة القوة التي تحطمت بداخلها وتزلزلت في حضوره، فكان رؤية هذا أمام عينيه أمر جلل، لقد انهز قلبه من مكانه وشعر بالعجز عندما لم

يستطع أن يخبئها بين جنبات صدره، بجوار قلبه ليحميها من الحزن والألم.. فسألها في إصرار:

- ما خطبك؟.. ما الذي أصابك؟!
- لقـ .د أعيييـ ا رووووحـ.ي السقم

عكص حاجبيه وهو يحاول تفسير كلماتها التي كانت تخرج من بين شهاقتها بصعوبة، فقال محاولاً تهدئتها:

- اهدئي قليلاً يا طيبة وحاولي أن تتنفسي قليلاً

نظرت له من بين دموعها الغزيرة تحاول أن تنفذ ما يقوله، لكنها كلما نظرت إلى عينيه بكت أكثر وتعالى نشيجها، احمر وجهه هو الآخر وشعر أنه أراد أن يبكي على بكاءها، حتى أنقذه أوس بحضوره متوترًا، وعندما رأته طيبة بكت أكثر وأكثر، ثم ارتمت بين يديه مُنهكة ولكنها لم تتوقف عن البكاء لحظة واحدة وقد أقلقهما هذا الأمر، فطلب من سامي كمن يطلب النجدة:

- اذهب بسرعة إلى صيدلية زيدان واحضر من عنده مهدئ وزجاجة ماء

فانصاع سامي وأخذ نفسه ركضًا حتى صيدلية زيدان، وسريعًا خرج منها وهو يحمل بيده مهدئًا وزجاجة ماء، وعندما وصل ووجدها ما زالت على حالها إلا أن وجهها بات أصفر، ونشيجها

باء باهتًا يخرج بصعوبة من قلبها؛ فارتعشت يده وانقبض صدره، واقترب منها دون إرادة منه وأمسك برأسها ويدها ثم أعطى حقنة المهدئ لأوس، الذي قام بإعطاءها لها على الفور، كان يضغط على أعصابه وكأنه كان هو من يأخذها، وبعد هنيهة شعر بإرتخاءها وسكونها، فهدأ هو الآخر قليلاً، ولكنه وجد أوس ينظر له بعدم رضا وهو يشاور له بأن يبتعد عنها ، فأطاعه وقد أدرك ما فعله، ثم انسحب من جانبها مُرغمًا، لكنه ظل خلفهما، ثم أراح أوس رأس أخته على كتفه وأحاطها بذراعه. وظل هو ينظر لها بأسى، لا يعلم ما الذي جرى لها وما الذي تعانيه، ولكنه ظل طوال جلسته خلفها يدعو لها بالشفاء وفك الكرب.

(٩)

كانت فتاتنا الزرقاء ترقد على سريرها كجثة هامدة ولكن عقلها كان كبركان ثائر، حاولت بكل قوتها التي تملكها تحريك يدها ولكنها كانت تفشل وكأن يدها ليست هي يدها التي تحاول تحريكها، وكان هذا يجعلها تشطاط جنونًا، فهي تكره هذا الضعف، تكره أن تكون حبيسة شخص مثل ديفيد القذر، ديفيد الحيوان المسعور الذي ما إن يقع شخص ما تحت يديه على طاولة المرضى حتى يشوهه، تكرهه وتكره مبادئه وما يؤمن به.

كانت تسمعه مُرغمه كل يوم عندما يأتي إلى غرفتها، كانت تكره صوته الشيطاني، وأرادت صعقه مرات عدة ولكن كان يمنعها هوانها وضعفها اللذان جعلاها لا تقوى حتى على النهوض من السرير الذي تنام عليه، لكنها كانت بدأت تستمع إليه وتهتم بأمر تلك العشيرة المختلفة التي كان يتكلم عنها في كل مرة يأتيها فيها، فقد سمعت عنهم من قبل في المكان الذي كانت فيه قبل أن تُصبح هنا، ويبدو من اهتمام ديفيد الكبير بهم أنهم ذوي اختلاف طبيعي خلقهم به الخالق، لذا استنتجت أن هذا المسعور يريد الوصول إليهم بأي شكل ليقوم بتجاربه القذرة عليهم.

كانت تضيق ذرعًا وهي في ثباتها بسبب خوفها مما قد يجعلها ديفيد تعانيه.. الخوف الذي ذاقت منه ألوان منذ كانت صغيرة في مختبراتهم، يُجرب عليها كل شيء، بدءًا من حقنها بالمحاقن المختلفة، وتجريب الكهرباء، والتدريب النفسي والبدني القاس لقدراتها التي وُهبت بها، والانتهاء بقانون الانتخاب والبقاء للأقوى، فانسابت من عينها المغلقة دمعة عندما تذكرت بحور الدم التي كانت تُسفك كلما قرر أولئك الوحوش انتخاب الأقوى فيهم والتخلص من الضعفاء، والأقسى كان اضطرارها للقتل لتعيش، جميعهم كانوا يريدون العيش ولكنهم حُرموا العيش كأي إنسان عادي له الحق في بناء الأحلام والنجاح والفشل والحزن والفرح على يد هؤلاء، لذا قررت أن تكون الأقوى والأشرس حتى

يهابهوها وليس العكس... لكن خوفها الأكبر في هذه اللحظة كان أن يقوم ديفيد بمسخها وتُصبح شيً آخر لا تدريه، فلا تتعرف نفسها وما أصبحت عليه، أو أن يقوم بالسيطرة على عقلها كليًا والتحكم فيها دون وعي منها كالآليين رغم أن التحكم فيها بالرقائق الإلكترونية كان يفشل معها فشلاً ذريعًا لأنها كانت تدمرها بقواها، لكنها في نفس الوقت كانت تعلم أنهم قادرين على صُنع ما يجعلهم يتحكمون فيها.

وكما كانت تفكر!... لقد أخبرها في اليوم التالي من تفسخ المسخ الذي صنعه بأنه يفكر في التحكم فيها عن طريق رقاقة صُنعت خصيصًا لها، وأنه يريد ربح معركته الخفية ضد عشيرة الأوس بها، تلك العشيرة التي يحلم بالعبث بجيناتها بعد أن فشل في صُنع ما يريد من وحوش، كما أنه يريد القضاء عليهم مثلما يريد أولئك الخنازير الذين يرأسونه، بل ويرأسون العالم أجمع بخفية والتواء.. ولكنها بعد أن أدركت ما هي مقبلة عليه، التزمت بمبدأها الخاص جدًا "الموت ولا حياة العبودية والذل".

نهار اليوم التالي دخل عليها هذا المختل بعد آخر مرة كان عندها فيها وهو يقول:

- حان وقتك يا صغيرتي.. قريبًا ستنهضين من ثباتك وستكونين تحت إمرتي بالكامل

فكانت تجيبه في وعيها الداخلي وهي تصرخ بغضب:

- في أحلامك أيها الأحمق المختل.. لن تستعبدني أبدًا!

وكان يضحك ويقول:

- سيتفاجأ بكِ عشيرة الأوس بقواكِ يا صغيرتي، وبكِ سآسرهم وأتحكم بهم كيفما أشاء

وظل يضحك كالمخبول، وهي تصرخ بداخلها:

- لن أكون معك أبدًا يا شيطان..

ثم خرج من غرفتها، وهي على حالها؛ تصرخ بلا صوت وجسدها مسجى على السرير بلا أي حركة وبلا أي قدرة على إظهار ما يعتريها من الغضب الذي يتلظى بداخلها؛ إلا بضع الدمعات التي أغرقت بها وسادتها.

لكنها بعد فترة وجيزة كانت قد تماسكت كعهدها بنفسها، وروحها تأبى أن تنكسر، وتعالت وتيرة دقات قلبها وهي تتجه بروحها إلى النور الذي يضئ به ويقويها، فكانت تتعلق بذلك النور وهي تدعو الخالق بفطرة سليمة خُلقت بها ولم تستطع المصاعب والأهوال أن تغيرها أو تشوهها:

- يا خالق الكون، أشعر بوجودك في كل آناتي وهماساتي، أرى صُنعك المبدع فيّ قبل أن أراه في غيري وفي كل مخلوقاتك، لا أستطيع الكفر بك وأنا أستشعر جمال ما صنعت وكل حكمة خفية لا أعلمها، وأستشعر القوة التي حافظت على روحي في هذا الجحيم.. أنا لا اعلم كيف أتبعك إلا بالأستغاثة بك والصبر.. أنقذني أيها الخالق العظيم

كانت معرفتها بالله فطرية لم تتعلمها من أحد، وكلماتها المستغيثة قليلة لكنها نابعة من سويداء قلبها، وبرغم حياتها التي عاشتها مسجونة بين التجارب والتعذيب، إلا إنها كانت أكثر إيمانًا من أناس يعرفون منهج الله وشريعته وبرغم ذلك يولولون عند أول ابتلاء بلا أدب وبلا حكمة. (نرجو أن لا نكون منهم)

ومن بين جنبات عقلها وقلبها انبثق أمرًا واحدًا فقط هو محاولة اللجوء إلى تلك العشيرة أو الموت بشرف.

(١٠)

كانت طيبة تضع رأسها على حجر أمها التي كانت تربت على رأسها بحنان وهي تتلو بعض آيات القرآن الكريم ويلتهج لسانها بالدعاء أوقات أخرى، وبجانبهما جلس أوس في قلق على حال أخته الصغيرة، فنظرت أمه إليه وقالت تطمئنه:

- لا تقلق على أختك يا صغيري لن يحدث لها مكروه بإذن الله، فأختك قوية وواعية ومؤمنة، وبالغد ستجدها قد فهمت نفسها أكثر وسترى ذلك

فنظر أوس إلى عيني أمه وهو يتشبث بكلماتها التي دائمًا تكون طوق نجاته في الحياة كلما ضاقت به، وقال:

- أريدها أن تكون بخير
- ستكون يا عزيزي لا تقلق

***

في تلك الأثناء كان سامي يجلس وحيدًا حزينًا على ما رآه اليوم من حزن طيبة وبكاءها، خاصة وأنه كان عاجز عن احتوائها كما يجب ان يكون، فكيف وهو لا يستطيع حتى المساس بها، فشرد وهو يفكر في ما قاله صهيب عن انجذاب ثائرة له، وكان هذا يجعل قلبه ينبض بقوة، وبفرحة أيضًا، ثم رفع رأسه وهو ينظر أمامه بتصميم وقد أتخذ قراره ولن يتراجع فيه.

ثم وقف كالطود وبعزيمة كالفولاذ أخذ نفسه على بيت أخته، وبعد برهة كان يقف أمام كلاً من ثائرة وسيلا، فسألهما:

- ماذا حدث لطيبة جعلها هكذا؟

فاقتربت منه سيلا بذعر وهي تسأله بلهفة:

- هل جرى لها شيء؟

فقال بعد أن وجد لهفتها تُزيد حالتها سوءًا:

- لا تقلقي يا سيلا، لم يحدث لها شيئًا سيئًا، لقد قابلتها وهي تهرول باكية، فلحقتها وكنت معها حتى أتى أوس إلينا

ثم توتر قليلاً وهو يحاول اختيار الكلمات الأخف والأنسب لحالتها وأكمل:

- ولكنها كانت منزعجة قليلاً فقط، وهي الآن عند والدتكم

فقالت له وهي تبكي:

- أنا أشعر بها فلا تخفي عني الحقيقة حتى تريحني.. إنها منهارة أليس كذلك؟

فنظر إلى عينيها وهو يقول بهدوء ليهدأها:

- لقد أصبحت بخير يا سيلا حقًا، لا تقلقي

فاقتربت ثائرة منها هي الأخرى وقالت وهي ترفع هاتفها النقال بيدها أمام وجهها:

- لقد بعث أوس رسالة لي الآن؛ يخبرنا فيها إنها أصبحت بخير

فجلست سيلا على أقرب أريكة لها وهي خائرة القوى قائلة:

- لقد كنت قاسية عليها بما يكفي

فجلست ثائرة بجوارها وهي تقول:

- أنتِ لم تقسي عليها أبدًا يا سيلا، لقد كان الجرح داملاً على قيح وقد أذنت الفرصة ليُفتح وتتخلص طيبة من قيحه إلى الأبد.. رب ضرة نافعة

فنظرت لها سيلا ترتجي في كلماتها الراحة لقلبها والسلوان. لتومأ لها صديقتها مؤكدة على صحة ما قالته لها. هنا خرج سامي عن صمته الذي آثره لحين تهدأ سيلا، ثم قال:

- هل تخبرني أحدكما عما حدث لطيبة؟!

فنظرت له الفتاتان وكأنما يلاحظان وجوده مرة أخرى، فقصت عليه ثائرة ما حدث والسبب الأساسي في جعلها هشة هكذا.. بعدما سمع قصتها؛ شرد وهو يشعر بالأسى عليها، ووجوب الاقتراب منها إلى الحد الذي يجعله يحتويها احتواءً كاملاً وأن يبثها ما تفتقده حتى وإن كان فاقده هو الآخر، طالما الأمر يقف عند طيبة؛ فلا تراجع بعد الآن، ثم رفع رأسه لهما وقال بلا تردد:

- أريد أن أتزوج طيبة

نظرت له الفتاتان غير مصدقتان ما يقول في هذه الساعة، فأردف:

- أعلم أنكما مصدومتان من قراري.. ولكني حقًا أحب طيبة وأريد أن أكون بجانبها

فابتسمت الفتاتان ونظرتا إلى بعضهما البعض وقالتا في ذات الوقت:

- لسنا مصدومتان!

- !!

فضحكتا هذه المرة على علامات عدم الفهم والحيرة التي ارتسمت على وجهه، ثم قالت ثائرة:

- في الواقع كنا نعلم بأمركما

رفرف بعينه وهو يشعر بالبلاهة، ثم قال:

- كيف كنتما تعرفان؟.. كيف يعلم الجميع وأنا لا أعلم شيئًا على الإطلاق!!

فضحكت سيلا وقالت:

- عين المحب تفضحه.. وانت كنت دائمًا مفضوح يا فتى

خجل سامي فأخفض وجهه، ثم غير دفة الحديث ورفع رأسه وهو ينظر لعينيهما بتمعن ليستشف منهما الصدق مرتجيًا أن يجد ما يريد، وقال:

- وهل عينيّ طيبة فضحتها أم..؟

فنظرت له أخته بمودة وقالت:

- لا تقلق يا عزيزي، أضمن لك قبولها كما كنت أضمن قبولك لها الآن

ثم قالت سيلا:

- اعلم إننا جميعًا هنا نحبك يا سامي وليس أختك فقط وطارق من يحبانك، ونشهد فيك الخلق الكريم والأصالة وكل سمات الرجولة، فلا تقلق عندما تطلبها من أوس، أو من تلقي المباركة من مجلس شيوخ العشيرة

فابتسم سامي وارتاحت نفسه، وأقبل على الدنيا بصدر رحب ولهفة كبيرة كادت أن تجعله يطير في مكانه، ولكنه صبّر نفسه حتى يرى ويسمع موافقة أوس ووالدتهم ومباركة شيوخ القبيلة أولاً، والأكثر موافقة المعنية بطلبه، التي تعيش وتتوغل في قلبه وفي نفسه.

***

في صباح اليوم التالي كانت طيبة لازالت قابعة تحت غطاءها على سريرها تفكر في كل واردة وشاردة صدرت منها أو من غيرها في الوقت الذي مضى من حياتها، كان عقلها هذه المرة يعمل بشكل مختلف عما كان يعمل من قبل وكأن كان هناك غطاء على جزء من عقلها يحجب عنها الرؤية بشكل صحيح، وترجمة الأفعال والمواقف بشكل سليم، كانت تائهة لكنها ولأول مرة هادئة، تشعر بسلام بداخلها لم تشعر به من قبل، ولم يعد هناك صوت بداخلها يخبرها بأنها ليست جيدة بما فيه الكفاية بعد الآن.. وفي جمة تفكيرها واستذكارها، تذكرت سامي وهو يقف قبالتها وعلى محياه شتى أنواع القلق والخوف، تذكرت عيناه وهو يسألها عما بها، وعن تشبثها بهما لاستشعارها الأمان والهدوء بالنظر إليهما، فخجلت وهي تقول في نفسها: **"كيف سأريه وجهي بعد الآن"**.. ثم

أجفلتها طرقات والدتها على الباب، فخرجت من تفكيرها فيه وردت:

- ادخلي يا أمي

دخلت والدتها وهي تبتسم لها بلطف وحنان، ثم قالت:

- ها.. أخبريني كيف هو حالك اليوم؟

فأفرجت طيبة عن ابتسامة كبيرة مرحة وقالت وهي تقترب منها تقبلها:

- بخير يا ست الحبابيب

ثم نظرت في وجه والدتها المرهق وقالت:

- أقلقتك كثيرًا يا عزيزتي، أليس كذلك؟

فنظرت لها والدتها بحب يفوق أي حب آخر وقالت:

- كيف لا أقلق يا صغيرتي عليكِ وأنتِ وأخوتك قطعة من روحي!

ثم دققت في ملامحها وأمسكت بخصلة من شعرها البني كالقهوة وأرجعتها خلف أذنها وهي تقول:

- لكني بخير الآن لأنكِ أصبحتِ بخير.. أرى ذلك على قسمات وجهك الآن

فاحتنضتها طيبة بكل قوتها لتحظى بذلك الشعور المختلط بالأمان والحب والراحة والسكينة في كل مرة تحتضن والدتها فيها، ثم قالت:

- الحمد لله، لقد أصبحت بخير الآن
- عديني يا عزيزتي أن تكوني بخير دائمًا
- أعدك بذلك يا أمي

فأخرجتها من حضنها وهي تبتسم إبتسامة كبيرة وتنظر إليها بنظرة ذات معنى آخر وقالت:

- اليوم ستسمعين خبر ربما قد يجعلك تطيرين فرحًا، أو لا يهز بكِ شعرة

فعكصت طيبة ما بين حاجبيها وسألتها:

- ما هو هذا الخبر؟!

فرفعت أمها حاجبيها وقالت وهي تشاور على الباب قبل أن تهم بالخروج:

- أختك سيلا ستخبرك به بنفسها

فنظرت طيبة ناحية الباب، لتجد سيلا تظهر من خلفه وهي تمد رأسها وعلى وجهها علامات مضحكة تصنعها قصدًا، فضحكت

طيبة لفعل أختها الذي لم يفشل يومًا أن يُضحكها طوال منذ أن كانت صغيرة، ثم قالت:

- تعالي إلى هنا وأخبريني ما هذا الخبر؟!

فاقتربت منها سيلا وقالت بترقب:

- لن أخبرك شيئًا قبل أن تحتضنيني وتسامحيني

فقربت طيبة وجهها من وجه سيلا وهي ترفع حاجبًا دون الآخر وتنظر لها في عينيها بلا أي مشاعر، ثم خفضت عينيها وهي تزفر بضيق، فاغتمت سيلا، حتى فاجأتها طيبة وهي ترتمي عليها تحتضنها بقوة وهي تضحك، فضحكت سيلا هي الأخرى وحاوطتها بيديها تعانقها بقوة، لتقول طيبة بحب:

- سامحيني أنتِ يا أختي لانني كنت دائمًا مصدر قلقك.. أعلم كم حاولتي صرفي عن التفكير بتلك الطريقة، لقد اجتهدتي كثيرًا في معالجتي، في النهاية كنتِ السبب في إيقاظ وعيي

فأخرجتها سيلا من حضنها وقالت وهي تمرر أناملها على خدها بحب:

- لقد خفت أن تنعدم ثقتك بنفسك وبالآخرين فتتحطمي، خفت عليكِ من الوحدة التي ستغتال قلبك وتعيشين فيها مُجبرة بسبب أوهام.. لكن الحمد لله

- لا تقلقي بعد الآن يا أختي

فنظرت لها سيلا بترجي وهي تطلب منها قائلة:

- أرى أن وعيك قد أُيقظ ولكن يجب عليكِ متابعة طبيب حتى تطيبي بالكامل

فابتسم لها طيبة وقالت تطمئنها:

- حسنًا

ثم رفعت حاجبها الأيمن وهي تقول:

- لكنني سأظل أسعى للمركز الأول دائمًا وسأتحدى الجميع كذلك

فضحكت سيلا وقالت:

- إن لم تفعلي هذا لن تكوني أختي التي أعرفها..

ثم ابتسمت بمكر وأردفت:

- لكن أخبريني.. هل ستتحدين سامي كذلك؟!

فعكصت طيبة ما بين حاجبيها وهي تعقد ذراعيها على صدرها، وتقول:

- ما خطب تلك النظرة وتلك الطريقة في الحديث؟

فضحكت سيلا بقوة وفرحة، على أثرها تآوت بشدة وهي تُمسك ببطنها، فأمسكت بها طيبة بقلق وهي تقول:

- ما الأمر؟

فردت سيلا وهي تحاول أن تتجاهل الألم:

- لا شيء جللـ آآآآآآه

فزعت طيبة من صرختها المدوية، كذلك والدتها التي أتت مسرعة للغرفة مرة أخرى، لتفاجأهم سيلا بصرخة أخرى أكبر مع نزول ماء رأس الجنين من تحتها.. فصرخت طيبة وهي تقول:

- يا إلهي إنها تلد يا امي.. سيلا تلد!
- اتصلي بطارق وأوس على الفور، وأخبري ثائرة كذلك

ثم أسرعت والدتها في الاتصال بطبيبة التوليد وتحضير ما قد يحتاجونه عند الولادة.

***

كان طارق مع أوس حين سمع بخبر ولادة سيلا في الهاتف على يد طيبة المذعورة، وما إن أغلق معها الهاتف حتى اختلطت بقلبه كل أنواع المشاعر، من فرحة وخوف وقلق، أيضًا ذلك الشعور الجديد الذي فاء يلج إلى صدره رويدًا رويدًا ويتذوقه بلهفة "شعور أن يكون أبًا"، ومع أول خطوات ذلك الشعور الوليد لقلبه، شعر بأنه إنسان جديد يختلف عن طارق القديم الذي كان تحت كنف أبيه حتى وإن كان كبيرًا كفاية ومتزوج، هو الآن شخص سيكون كنفًا لآخر سيستشعر في وجوده الأمان والسند.. كان يهرول مع أوس كالمجنون نحو بيت والدتهم، وعندما دخل إلى البيت المكتظ بكل أفراد العائلة، سأل بلهفة:

- كيف حالها الآن؟

فردت طيبة:

- لقد تعبت في البداية، ثم جاءت الدكتورة منذ قليل وأمي معهما بالداخل ولا أعرف شيئًا حتى الآن

ابتلع ريقة بصعوبة وهو يقول:

- لقد كان حملها ثقيلاً إلى حد مقلق، أنا أخشى عليها كثيرًا..

فأمسك أوس كتفه بقوة، واقترب منه عُدي كذلك وهما يطمئنانه:

- لا تقلق يا أخي، ستكون بأفضل حال، إن سيلا تخالف هيئتها من الضعف، إنها قوية!

فقال وكله رجاء وتمني:

- ستكون بخير بإذن الله

كان جميعهم متوترين من صوت سيلا المتألم الذي بدأ يظهر جليًا، وما إن خرجت الطبيبة وعلى وجهها تقاسيم القلق، حتى اشتد التوتر والقلق أكثر، وأصبح الخوف يأكل قلب طارق أكثر وأكثر، وهو يرسم خيالات مرعبة في عقله وعقل إخوتها وأقاربها وأصدقاءها. فاقترب طارق من الطبيبة بلهفة وهو يقول مرتابًا:

- هل هناك خطب ما؟.. الموضوع ليس سهلاً، أليس كذلك؟

فابتسمت المرآة بعملية وهي تقول له مهدأه:

- لا تخف!، صحيح أن العملية صعبة ولكنها ليست مستحيلة، وسيلا لن تتعرض للخطر، وأيضًا الطفل سيكون بخير بإذن الله

فقال مُرتجيًا وقلبه يتواثب كأنه خرج في فمه:

- إن شاء الله سيكونان بخير
- إن شاء الله

ثم تركتهم الطبيبة وخرجت لتهاتف العيادة:

- قوموا بتجهيز غرفة العمليات بسرعة، الحالة متعسرة وولادتها في بيتها خطر
- ....
- حسنًا افعلوا ذلك، وأرسلوا عربة الإسعاف في الحال

ثم أغلقت هاتفها ودخلت مرة أخرى للغرفة، وأخرجت محقن من حقيبتها المفتوحة وحقنتها به، ثم نظرت لوالدتها المتألم قلبها وقالت:

- هذه الحقنة ستهدأها حتى تأتي عربة الإسعاف
- هل ستكون بخير يا دكتورة؟
- لا تقلقي ستكون بخير بإذن الله، ادعي لها فقط وتوكلي على الله

فهززت والدتها بإيمان وهي تقول:

- ونعم بالله

عندما خفت صوت سيلا، ارتعب طارق ظنًا بأن مكروهًا قد أصابها، وتسمر أوس والجميع في مكانه وقلوبهم تتواثب، فاتجه

ناحية الباب كالمجنون الذي فر من عقاله وهو يطرق الباب بشدة ويقول:

- ما الذي حل بها، لمذا ضعف صوتها هكذا؟

في ذات الحين كانت صافرة الإسعاف تدوي بالخارج، فخرجت الطبيبة وهي تطلب منه ومن الجميع الإفساح للمسعفات لأخذ المريضة، فامتثل لها الجميع مُرغمًا، وحضرت المسعفات ونقلا سيلا على السرير المتنقل وخرجا بها أمام عينيّ طارق الذي كان سيجن عندما رآها غارقة في عرقها، منهكة، وآثار الألم بادية على ملامحها الجميلة، ثم تبعها كالمجنون ومن خلفه أوس والجميع وهم في حالة ترقب وقلق قصوى.

***

(١١)

في غرفة عمليات أخرى وعلى سرير عمليات أيضًا استلقت ذات العيون الزرقاء مغمضة العينين، لا تعي بما يحدث لها تحت أيد ثلاثة من الأشخاص الذين يرتدون الرداء الأبيض تحت شعار أطباء؛ ولكن أطباء قذرون، ينتظرها ديفيد وينتظر استيقاظها على أحر من جمر ليستطيع بها الحصول على مبتغاه من أفراد عشيرة الأوس.

وبعد مرور عشر ساعات مروا كالدهر عليه، خرج الثلاثة أطباء، ثم قال أحدهم:

- لقد نجحت العملية، ولكن لن نحكم على نتائجها حتى تفيق
- ومتى ستفيق؟

قالها ديفيد في تعجل.

- ستفيق بعد أربعة وعشرون ساعة من الآن كحد أدنى

فأومأ ديفيد وهو يأخذ نفسًا عميقًا يكبت به لجام جماحه وحماسه، ثم قال في همس بينه وبين نفسه الغير صبورة: **"في الغد سأبدأ بوضع أول أسس أحلامي"**.

***

- "٥٢٥" هيا استيقظي من نومك

كانت ذات العيون الزرقاء تتأرجح بين الوعي واللاوعي، بين الغوص في النوم و الاستيقاظ، ولكنها قد بدأت في الاستيقاظ وصوت ديفيد الذي تكرهه ينتشلها من الغوص في النعاس الآمن، ففتحت عينيها ببطء شديد وهي تداري بيدها الضوء الساطع الذي كاد يعميها، حتى فتحتهما على آخرهما تدريجيًا وهي تنظر لديفيد الذي كان يبتسم ابتسامة كريهة، جعلتها تشعر إنها تنظر لثعبان مُفزع الوجه تقشعر منه الأبدان، ثم قالت بجمود:

- وماذا الآن أيها الوغد؟

فرفع حاجبه باستنكار وهو يقول:

- ما زلتِ سليطة اللسان كما أنتِ دائمًا يا "٥٢٥"

فنظرت له بغضب وتحدي وعينيها تكمن له شرًا. فقهقه بفظاظة وهو يقول:

- أوه!.. لقد نسيت إنكِ تكرهين أن يناديكِ أحد بـ "٥٢٥"

ثم استطرد وهو ينظر لها باستفزاز:

- ولكن هل لكِ اسم آخر غيره... لماذا دائمًا تعتقدين إنكِ حرة؟!، يا ضغيرتي كل العالم ملك لنا، نحن الأحق بالعالم، لقد أعطانا الإله هذه الأرض وبما عليها لأننا المختارون.. فلا تنسي نفسك بعد الآن..

وقبل أن يُكمل ما كان يقوله، كانت ذات العيون الزرقاء تُصرع على السرير مصعوقة بكهرباءها. فاقترب ديفيد من وجهها وهو يقول هازئًا:

- هذه المرة لن تستطيعي الفرار من قبضة يدي

فصرخت من الألم والغضب معًا وهي تقول:

- ماذا فعلت بي أيها الوغد المخنث المقذر
- تؤ تؤ.. لا تتحامقي بمحاولة استفزازي بسببابك لي، فأنا الآن أملك موتك وحياتك

فضغطت على أسنانها بغل وهي تقول بعنادٍ أكثر:

- أنت نفسك لا تملك حياتك وموتك.. ولكن قريبًا جدًا ستموت أيها الخنزير القذر، وعلى يدي

فنظر لها بنفاذ صبر وشفته العليا تهتز في غل جامح، ثم ضغط على الجهاز اللوحي الذي بيده وهو ينظر لها بسخرية، فصُعقت ذات العيون الزرقاء مرة أخرى، فقال هازئًا وهي تحاول كتمان ألمها والتظاهر بالقوة:

- تلك الرقاقة التي زُرعت بداخل رأسك ليست فقط للسيطرة على قوتك، بل أيضًا لاستخدامها ضدك كأداة عقاب.. لا تنسي ذلك يا "٥٢٥"

كانت تتألم بشدة ولكنها تحاملت في وجوده ولم تظهر أمامه ضعفها، حتى خرج؛ فانسابت دموعها وهي تئن من الألم، ثم نظرت ليدها التي أصبحت تستطيع رفعها الآن بكل سهولة وقالت لنفسها بصوت مسموع: **"الآن أستطيع رفع يدي، ولكن أصبحت لا أملك اختيار إشهارها في وجه من يستحق الصعق بها.. ما زلت لا أملك حريتي حتى الآن"**، ثم بكت بعدها بحرقة شديدة.

***

(١٢)

بعد ولادة متعسرة استمرت لعدة ساعات طوال مرت على الجميع ببطء شديد، جلست سيلا وهي تتحامل على نفسها لتمسك وليدها بين يديها بلهفة، وباشتياق تقبله؛ قبل أن تأخذه الممرضة مرة أخرى، والجميع من حولها مبتسم فرح لمرور الأزمة بسلام وخروج سيلا وطفلها معافين بفضل الله، فقال عُدي لطارق الذي كان يجلس بجانب سيلا وهو يبتسم بفرحة غامرة وكأنه طفل تهادى بحلوى لذيذة:

- بارك الله لكما في الموهوب ورزقكما بره

فأمسكت سلمى بيد زوجها وقالت بحب وفي عينيها نظرة تمني:

- إنه طفل جميل، بارك الله لكما فيه

فحاوطها عُدي بيده وهو يقربها إليه برفق ونظر إليها بمودة، فتركت رأسها تميل على صدره.

فنادتها سيلا لتقترب منها، وعندما اقتربت، ناولت لها الطفل وهي تسمي الله، فأخذته منها سلمى مبسملة وعينيها تتعلقان على أطرافه الدقيقة وملامحة الصغيرة بتأثر، ثم أردفت:

- رزقكما الله الذرية الصالحة.. بإذن الله سترزقان بطفل جميل كطفلي

فنظرت لها سلمي بحب وعينيها تدمعان وقالت وهي ترفعهما للسماء مترجية:

- يااارب

ثم سألتها:

- ماذا ستسميانه؟

فنظرت سيلا لطارق وهي تبتسم إبتسامة رائقة مُحبة وقالت:

- لقد اتفقنا على تسميته "عمر"
- ليكن كالفاروق إذًا

ثم ناولته للممرضة التي نبهت على انتهاء الوقت المفروض لهم ويجب إرساله إلى الحضّانة، فنظرت سلمى إلى سيلا وابتسمت لها بحب وقالت:

- شكرًا لكِ يا صديقتي

وفي خضم الابتسامات والضحكات والمباركات بين الأهل والأحباب، والقصص والمزحات الملقاة هنا وهناك؛ كان سامي بمحازاة طيبة، تارة ينظر إليها وتارة تنظر إليه، كان الحب يخرج من قلبيهما وعيناهما ويرفرف بينهما وبين الجميع. كان يقول في نفسه: **" هل يا تُرى عرفت بطلبي؟"..."بالتأكيد لم تعرف بعد، وإلا ما كانت وقفت بأريحية هكذا وأنا بالقرب منها"**.

وكانت هي أيضًا تتسائل عن الشعور الذي يتملكها بأن هناك تغييرًا ما فيه قد أصابه، أيضًا كانت تتسائل عن سر الشعور الرائق الذي تشعر به داخلها بعد اليوم الذي كان معها فيه أثناء انهيارها، لماذا تشعر إنها تقربت منه أكثر عن ذي قبل!، فكانت تقول في نفسِها: **" ربما هذا الشعور بالائتلاف كان سببه انكشاف غطاء قوتي الزائف أمامه.. لن أنكر إنه كان رقيقًا معي، كما كان قلقًا علىّ، لقد وجدّت روحي في عينيه شيئًا يستحق أن أتشبث به بقوة.. والآن أريد هذا الشعور إلى أن أموت"**. وما إن خطرت خاطرتها الأخيرة حتى احمرت خجلاً، فقالت تأنب نفسها سريعًا: **"بماذا تفكرين!!!..لا تفقدي صوابك وزمام أمورك أيتها الخرقاء، لا تبني قصورًا على السحاب حتى لا تنهدم فوق رأسك يا مغفلة!"**.

وفي خضم ذلك الجو المشحون بالحب والألفة بينهما؛ لاحظ أوس، فضيق عينيه بشراسة، ثم ذهب ووقف بينهما، فنظر له سامي

متوترًا، ونظر له أوس بنفس نظرة الشراسة، فابتلع سامي ريقه وهمس له قائلاً بضيق:

- لا تنظر إليّ هكذا!، أنا لم أفعل شيئًا سيئًا، كما إنني أخبرتكم جميعًا بنيتي

فرد عليه وهو يضغط على أسنانه:

- أنت لم تصير زوجًا لعزيزتي الصغيرة بعد!

فقال وهو يبتسم إبتسامة بلهاء متمنية:

- بإذن الله ستُصبح عزيزتي قريبًا

فوكزه أوس في بطنه، فارتفع صوت سامي متآوهًا بشدة، فالتفت لهم الجميع وهم ينظرون إليهما بتوجس، فابتسم الاثنان بسرعة، ثم قال أوس لهم سريعًا:

- نمزح فقط

فقال سامي من بين آناته التي يكتمها منعًا للإحراج:

- والله لأخبر ثائرة

فرفع أوس أنفه عاليًا وهو يقول له:

- افعلها!.. ولكن لن أجعلك تقترب من أختي..
- هل تساومني الآن!!

- تحمل!.. هذه هي الضريبة، يجب أن تتحملني حتى تظفر بها

فتنهد وقال:

- وما على المُحب إلا التنفيذ

فنظر له أوس مرة أخرى بقرف وهو يقول:

- مُحب!!، كف عن هذا الكلام حتى لا أقتلك يا عزيزي، فأنا أغار كثيرًا على أختي، لقد ربتها يداي أيها الأحمق ولن تأخذها مني بتلك السهولة

فابتسم له سامي بسماجة وهو يقول:

- حسنًا!، ولكنني سأخذها على أي حال

فكتم أوس غيظه ثم أمسك بيد أخته وأخذها ليقفان في مكان آخر وهو يحيل نفسه بين عيني سامي وبينها حتى لا يراها. وكان هذا يحدث وهي لا تفهم ماذا يحدث بينهما، أو لماذا يتصرف أخيها هكذا!، كما أن ابتسامات سيلا وثائرة ووالدتها الخفية غير عادية بالمرة، فضيقت عينيها وهي تقول في نفسِها: **"ما الأمر يا تُرى؟!"**

***

(١٣)

وقفت ذات العيون الزرقاء تنظر شرزًا إلى ديفيد الذي يسخر منها باستمتاعه بالتحكم بها وبإبتساماته الهازئة، كانت تتألم من تلك الطريقة المهينة لها وهي التي كانت تُعرف بسطوتها وجبروت قوتها، كانوا يخافونها ويهابونها على الرغم من إنها أسيرة لم تحظى بحريتها ولم تستطع مرة أن تفلت من تحت قبضتهم أبدًا.. وها هي الآن أصبحت لعبة بين يدي ديفيد المجنون يتلاعب بها ويحركها حسب أهوائه.

- قفي هنـــاك أيتها الحمقـــاء

صاح بها ديفيد في تمتع يأمرها، وهو في أمان من انتقامها، فانكفهر وجهها وزادت ملامح السخط عليه، وكان هذا دافعًا جعلها تشعر بطاقتها تتفجر بداخلها، حتى أن شحنات الكهرباء بدأت تحتشد على قبضتي يداها وهي تتطقطق معلنة عن قوتها وضرواتها، وقد أصاب هذا الأمر ديفيد بالصدمة والخوف، وشعر

لوهلة إنه قد بلل سرواله، ولكنها فاجأته مرة أخرى حين أُغشي عليها.

فاستكانت أنفاسه وارتاحت ملامحه، فلقد صدق مما فعلته أن تلك الفتاة قد استطاعت التحرر من سطوة الرقاقة التي في دماغها، وأنها كادت أن تقتله.. اقترب منها في وجل، لكنه ابتسم بثقة حينما وجدها مغشى عليها بحق، بل وعلامات الإرهاق بادية عليها وكأنها كانت تُعذب بالصعق بالكهرباء لمدة طويلة على الرغم من إنها هي القوة التي تحظى بها، كانت كأنها أخرى غير فتاة الصاعقة التي يعرفها الجميع.

***

بعدما استفاقت، وجدت نفسها على سريرها وقد وصّل بيدها محلول ما؛ يبدو إنه علاج.. تآوهت حين دخل عليها ديفيد عندما كانت تحاول النهوض، فنهرها:

- لا تحاولي التحرك أيتها الحمقاء، لقد كدتِ تقتلين نفسك البارحة
- اغرب عن وجهي أيها الأحمق

فاقترب منها ديفيد بنفاذ صبر ينظر في عينيها قائلاً:

- أرى إنكِ ما زلتِ وقحة على الرغم من إدراكك الآن بعدم جدوى استخدام قوتك ضدي والفرار من تحت قبضتي

فقالت بهدوء:

- أعلم
- ماذا!!.. هل أفهم إنكِ تستسلمين الآن؟

لم تنطق بحرف واحد ولكن ارتسمت على ملامحها إمارات الهدوء التام، حينها ضحك ديفيد وهو يقول متبخترًا:

- حقًا لقد روضت الفرس العنيد أخيرًا!.. ووحدي!

ثم أمعن النظر فيها وهو يحلم قائلاً:

- قريبًا جدًا سأنال من خلالك ما أسعى خلفه

فنظرت له هي الأخرى ولم يبد على وجهها أي تعابير غير السكون والاستسلام؛ فضحك أكثر، ثم خرج وهو يصفر بشفتيه رائق البال، لكن فور خروجه كانت بدأت ترتسم إبتسامة خبيثة صفراء على محياها، وهي تهمس بخفوت: **"أحمق"**

***

في صباح اليوم التالي وقفت تنفذ ما يأمرها به.. كانا يتدربان على التناغم في ما بينهما أثناء القتال، وكانت هي سلاحه الذي يتدرب به وعليه.

- هذا جيد يا "٢٥٢"

فخبئت اشمئزازها وهي تقول في سرها بوعيد: **"مهلاً أيها الوغد"**.

ثم نظرت له مرة أخرى وقالت:

- لكن كيف ستهزمهم بي وحدي؟.. إنهم كُثر ولن أتغلب عليهم جميعًا

فابتسم بفخر وهو يقول:

- لقد صنعت لهم فخًا..

فنظرت له بعد فهم، فأردف:

- أنا لا أريدهم جميعًا، أنا فقط أريد شخصين أو أكثر لأقوم بتجاربي عليهم، فكما تعلمين، تلك العشيرة تختلف بقوتها عن الإنسان العادي، أما عن التخلص منهم فهذه ليست مهمتي

بالتحديد.. لكن يهمني التخلص منهم بشكل أو بآخر أيضًا، فمن المهم أن نقضي على أي قوة قد تهددنا وتهدد ما بنيناه طوال تلك السنين.

فاغتمت ظنًا منها أن تلك الطريقة لن تجعلها تستطيع الإستعانة بهم للتخلص من ديفيد ومن تلك المنظمة إلى الأبد، لكنها عقدت العزم على التخلص منه ومن تلك المنظمة بأي ثمن، مع عشيرة الأوس أو بدونهم.

فسألته:

- لكن ما هو هذا الفخ؟
- هذا أمر خاص بي يا "٥٢٥"، لا تسألي كثيرًا!

فصمتت وهي تقلب الكثير من الأمور في رأسها وتفكر بها، ولكن قطع تفكيرها ديفيد وهو يقول بإبتسامة صفراء:

- ألا تودين مقابلة زملائك يا "٥٢٥"؟

فنظرت له بجمود وهي تحاول إخفاء كراهيتها له وقالت:

- هل أحضرت دمى جديدة يا ديفيد؟

فضحك كالمجنون وهو يقول:

- بالطبع يا عزيزتي

ثم استطرد بعدها بدقائق وهو يتأفف:

- لكن للأسف، لن أستطيع أن أجعلهم كوحوشي السابقة.. إن الأمر يفشل بسرعة

فكادت أن تبتسم، ولكنها تماسكت وهي تقول له:

- ألم تسأل نفسك "لماذا لا تنجح تجاربك أبدًا؟!"

فضيق ديفيد عينيه وهو يفكر قائلاً:

- ربما الصيغات التي أستخدمها بها خطأ ما، هناك شيئًا ما دائمًا ناقص!
- لا، الأمر ليس كذلك

فنظر لها بسخرية وقال:

- إذن ما الأمر يا عالمتنا الفذة؟

فابتسمت وقالت بثقة كبيرة:

- الأمر هو إنك لست إلهًا لكي تقوم بخلق كائن آخر يا ديفيد.. ربما تنجح بصنع أناس مشوهون مختلفون لكنهم سيظلون بشرًا مهما حدث.. أما ما تريد فعله لن يحدث أبدًا، ثق بذلك!

فصرخ فيها كالمجنون وهو يقول:

- سأفعلهـــــا.. سوف أخلق ما أريد وكيفما أشاء

زمت ما بين حاجبيها بغضب على ما قاله، ثم قالت بثبات وبنفس الثقة:

- إذن كيف لم تفعلها حتى الآن أنت ومن معك من المخبولون؟.. أنت تدري أن ليس هناك حل حتى الآن لتغيير شفرة الـ DNA التي كُتبت على كروموسومات كل كائن حي من بداية تكوينه وخلقه، التي تجعل كل مخلوق مختلف عن الآخر بخصائصه المختلفة، كيف ستغير ما كُتب بالفعل دون رجعة فيه..

ثم صرخت وهي تقول بقوة:

- أي أن مهما فعلت سيظل الإنسان إنسانًا حتى لو زدت من قدراته أو أنقصتها، أنت لن تستطيع خلق كائن آخر وحدك أبدًا، متى ستفهم أيها الأحمق!!

فجن جنون ديفيد أكثر، وأمسك بالجهاز الذي يحيط بمعصمه بقوة وهو يتوعد لها، ثم قام بصعقها في حين كانت تحاول مهاجمته رغم درايتها بفشلها وأنها هي الوحيدة التي ستتأذى، وقد كان!... لقد تلاقى الأمران منها ومنه لقوتها؛ فدوى انفجارًا كانت هي نواته، لقد أهلكها ذلك الانفجار الذي لم يمس غيرها، كانت كنجمة ساطعة مُعلقة في سماء الغرفة حينما تولدت طاقتها كنقيضين، وحينما أغشى عليها وقعت على الأرض بين الحياة والموت.

(١٤)

جلس سامي أمام حاسوبه والجميع ينظر إليه في ترقب وهو ينظر لحاسوبه بهدوء قاتل، فقال وهو ما زال ينظر إليه:

- هذا الأحمق، لقد حطمه غروره وهو لا يدرك ذلك حتى.. كنت أود أن ألاعبه لوقت طويل ولكن يجب أن نُخلص تلك الفتاة من بين يديه

فقالت طيبة مُحذرة:

- أخاف أن يكون الأمر فخًا.. ربما هذان الاثنان يعلمون بأمر اختراقك لأجهزتهم ولكاميراتهم يا سامي!

فأجابها صهيب بدلاً من سامي وقال:

- إنها تعاني يا طيبة!.. ألم تري ما يحدث لها بأم عينك؟!...

ثم قال مرة أخرى بعد هنيهة من الصمت الذي كان يكبت فيها غضبه:

- أنا لن أتركها تتعذب هكذا لمجرد تخمين واهي، وحتى إن كان صحيح؛ نحن سنعد عدتنا وبإذن الله لن يقدر علينا أحد

فكادت أن تقول شيئًا، فقاطعها سامي وهو يقول لها:

- لا يا طيبة، أنا أيضًا متأكد بأنه ليس فخًا على الإطلاق، فلقد اطلعت على أكثر المعلومات حساسية بالنسبة لديفيد، كأعضاء منظمته السرية، وأين تعقد الاجتماعات الخاصة بهم وكثير كثير من المعلومات التي أمددت بها أوس وطارق والتي ستساعدهم كثيرًا أثناء هجومهم عليهم في بلادهم إن شاء الله، كما أن تلك الفتاة حقًا ليست مثلهم ولا منهم

ففكرت كثيرًا وهي تقلب كلام سامي وما شاهدته من فيديوهات ودلائل في رأسها، ثم قالت مرتابة:

- كل ما في الأمر أن تلك الفتاة قوية للغاية، إنها تملك قوى رهيبة!، ولا أفهم كيف يملك إنسان مثل تلك القوة، وإذا كان هذا فخًا، سيكون هذا الأمر وبالاً علينا، لذا علينا أن نحترس أكثر

فابتسم لها سامي يطمئنها وهو يقول:

- لا تقلقي وثقي بي

فابتسمت بالمقابل وقالت:

- أنا أثق بك بالفعل، كن على علم بهذا

ثم قالت أصيل:

- أنا أفهم تمامًا ما تقوله طيبة، ولكن أشعر بأن تلك الفتاة غير هؤلاء، إنها بالفعل مختلفة.. ألا ترون كيف واجهته رغم معرفتها المسبقة بأنه يتحكم بها وقد يؤذيها، ألا ترون كيف تتحداه تلك الفتاة!.. تلك الفتاة قوية حقًا وبإذن الله ستكون بجانبنا
- ولكن قوتها!.. هل هي طبيعية؟
- لا أعلم!

فنظر لهما صهيب وقال:

- إن لم تكن طبيعية لماتت كمن سبقها، ولا تنسيا من نكون نحن.. نحن عشيرة الأوس!!

بعدما انهى صهيب حديثه، وقال كل منهم رأيه، اجتمع الجميع على أمر ورأي واحد وهو البدء في إنقاذ تلك الفتاة من براثن أولئك الوحوش.

ثم سأل صهيب سامي:

- ما هي خطتك؟

- أريد جلطه في البداية، سأشعر بالراحة عندما أدمر غروره أمام نفسه، أريده أن يشعر أنه ومنظمته الشيطانية لا شيء

ثم صمت قليلاً يُدير الأمر في عقله، ثم عاد ليكمل بعدها:

- سأكشف نفسي له، سأريه كم كان أبلهًا، وسأجعله يتهور حتى يقرر بأن يأتينا بنفسه

فقال أحد الجالسين وكان اسمه عنبر:

- وماذا إن خاف وهرب؟!

فابتسم صهيب هذه المرة وهو يقول:

- بالتأكيد يا عزيزي لن نتركه يهرب، ألم تفهم بعد؟.. لم يعد هناك مفر من الهرب!

فابتسم سامي وهو ينظر لصهيب الذي أصبح عقله وأفكاره تتماشى مع أفكاره وعقله، ثم قال له:

- إذًا استعد ففي الغد سأقوم بجلطه

فصاح صهيب يعوي كالذئاب متحمسًا وهو يقول:

- إذًا في الغد

***

جلس طارق بجانب سيلا وهو يكتنفها على صدره ويحيطها بذراعه اليسرى وهي تحمل صغيرهما ما بين ذراعيها، ينظران إليه بحب ورفق ودهشة، يفكران كيف خرج منهما هذا الصغير ومتى!، وكيف هو جميل إلى هذا الحد!، يندهشان من حجم قبضة يده ودقة أنامله ويقاربان بينها وبين أناملهم بسعادة ودهشة، كانا يقضيان وقتًا ممتعًا حينما ينظرون إليه وهما بجوار بعضهما البعض.

أمال رأسه على كتفها وقبله وهو يشم رائحتها وقال:

- أدامك الله في حياتي يا عزيزتي ولا حرمني منكِ أبدًا
- أأقلقتك إلى هذا الحد؟!

فنظر في عينيها وقال بعتاب:

- أهذا سؤال لا تعرفين إجابته حقًا؟!

فابتسمت وهي تقول له بحب ودلال:

- أحب أن أسمع هذا منك، فهذا يسرني كثيرًا

فابتسم لها طارق وأمسك بيديها وهو يقول:

- أنا أخاف من أن أغمض عيني فلا أراكِ، فأُسرع بفتحمها حتى أراكِ مرة أخرى، فكيف لا أقلق عندما أراكِ تتألمين والكل يخبرني أن ولادتك متعسرة!..

ثم تنهد وهو يضمها إليه أكثر وقال:

- الحياة بدونك صحراء مُقفرة يا سيلا، لا سبيل للعيش فيها

تأثرت بكلماته الحنونة الصادقة، فقالت له:

- لا حرمني الله منك يا عزيزي.. ولكن أرجوك إن حدثـ...

فوضع يده على فمها يوقفها عن ما كانت ستقوله وهو يقول:

- لا تقولي لي شيئًا قاسيًا كهذا

فأزالت كفه برفق وقالت:

- لا أريدك وحيدًا، تقتات الوحدة قلبك وتتكالب الأحزان عليك

فتنهد بغضب وقال:

- وإن رافقتني امرأة غيرك؛ لن أستطيع أن أشعر بها وأنتِ تحتلين قلبي وعقلي، لن يكون هناك غيرك يا حبيبتي، وأتمنى من الله أن يمد بعمرك طويلاً وأن لا تفارقيني أبدًا

فوضعت يدها على خده بحنان ثم قبلته على جبهته وقالت:

- أتمنى من الله أن لا يفرقنا أبدًا وأن يجمعنا معًا على طاعته

فابتسم طارق وهو يأمم من ورائها، ثم قالت له مرة أخرى:

- إذًا أنت واحد من الذئاب الآن.. فالذئاب لا يتزوجون إلا بأنثى واحدة فقط، إن ماتت مات بعدها حُزنًا عليها، أو يتماسك ويعيش، ربما لأجل العشيرة أولأجل أبواه إن كانا مسنان، أو لأجل الجرار الصغار، ولكنه يعيش وحيدًا بعدها حتى يأتي ميعاد موته

فابتسم وقال:

- إذًا أنا أكون بهذا واحدًا منكم

فابتسمت سيلا له بود وقالت:

- أنت بالفعل منا يا عزيزي

***

وقفت ثائرة تبتسم وهي تنظر لأوس شاردة فيه وهو يلاعب صغيرهما. كان سعيدًا للغاية وهو يلاعبه، يضحك ويقهقه ويقفز، كان يعود طفلاً مرة أخرى مع طفله الصغير، وعندما انتبه لها ناداها، فلم تنتبه، فكرر نداءه حتى خرجت من شرودها وهي تقول:

- هل تريد شيئًا يا حبيبي؟

فابتسم وهو يقترب منها حاملاً صغيرهما وقال:

- فيما أنتِ شاردة؟
- فيك

فرفع حاجبيه وهو يقول مازحًا:

- يا للهناء ويا للسعد

فضحكت ثائرة وهي تقول:

- وهل يعني هذا إنني لا أفكر فيك؟

فأغطس ذقنها في راحة يده يداعبها، وهو ينظر إلى عينيها بعمق وحب، وقال:

- لماذا أنتِ قلقة؟
- أنت ستذهب لمكان بعيد جدًا عنا، كيف لي ألا أقلق؟!

فابتسم، وقال يطمئنها:

- ألا تعرفين من أنا يا جميلتي؟.. لا تخافي عليّ، خافي على أولئك الحمقى الذين سيواجهونني!
- وإن يكن، لن أرتاح إلا وأنا معك، أحميك وظهري بظهرك

فضحك أوس مليًا، ثم قال أمام موجة الاستياء التي تخرج من وجهها كالأثير لضحكه عليها:

- أنتِ نصفي الآخر حقًا.. ذئبتي الشرسة الصغيرة التي تكملني

ابتسمت رغمًا عنها، فأنزل صغيره من على يده وتركه يلعب ويلهو بألعابه، ثم أمسك بوجنتيها يشدهما وهو يقول رغم اعتراضها ومحاولاتها في الإفلات من بين يديه:

- ابتسمي إبتسامة كبيرة الآن

فاعترضت معاندة:

- لا!

فقال لها متحديًا:

- لن أتركلكِ حتى تبتسمين إبتسامة كبيرة

فابتسمت إبتسامة جميلة واسعة صادقة أنارت وجهها، فأُنير قلبه وغمرته السعادة، فاحتضنها وقال:

- لا تقلقي أبدًا.. تفائلي خيرًا وثقي بالله وبي وتوكلي

ثم أخرج رأسها من صدره ونظر إليها وقال مستذكرًا:

- صحيح!.. ذلك القرد الصغير سامي استطاع الوصول لمعلومات حساسة ودقيقة جدًا ستساعدنا كثيرًا في رحلتنا

فضربته على صدره برفق وقالت معترضة:

- أخي ليس قردًا

فضحك قائلاً:

- منذ أن طلب الزواج من طيبة وأنا أستمتع بالعبث معه.. ويبدو إنني سأغار أكثر الآن

فابتسمت تقول:

- حقًا لا أصدق أنهما أخيرًا توافقا واعترف أحدهما

فرفع حاجبه الأيمن متفاجئًا، ثم قال:

- أهناك شيء لا أعرفه؟
- ألم أقل لك من قبل أنكم معشر الرجال لا تلاحظون أي شيء!.. لقد لاحظنا اهتمامهما ببعضهما البعض ليس إلا
- أكان الأمر هكذا إذًا!.. لقد رأيت السرور في عين طيبة عندما علمت بأمر طلبه، ومن قبلها رأيت الإصرار واللهفة في

عيني سامي، لقد ذكرني بنفسي عندما كنت أريد الزواج منكِ، لقد كانت في قلبي لهفة كبيرة أيضًا

- وما رأيك أنت؟

فنظر لها مبتسمًا برضا وقال:

- أنا سعيد أن طيبة أحسنت الاختيار، فسامي شاب أصيل ومسئول، ذكي وطموح وقوي، أخلاقه عالية ويعرف ربه، وإرادته قوية جدًا وهذا سبب قوته

فابتسمت ثائرة مزهوة بأخيها، ثم قالت:

- حسنًا هذا يسعدني أكثر
- وما هو رأيك في طيبة إذًا؟

تفاجأت طيبة من سؤاله، فسألها مستفسرًا عن تفاجئها:

- لماذا أنتِ متفاجئة هكذا؟

فقالت وهي عاكصة حاجبيها بتهكم:

- لأنني ظننتك تعرف كم أحب طيبة وأراها كأختي الصغيرة، على الأقل ظننت إنك شعرت بحماسي اتجاه ارتباطهما

فابتلع أوس ريقه وهو يقول سريعًا ليتفادى زوبعة قادمة من اللوم:

- حسنًا حسنًا!، أنا أملك عقل دجاجة ولا ألاحظ أي شيء بخصوص حياتنا الشخصية
- هذا خطير جدًا!!

فقال بتوجس:

- ماذا؟
- أنك لا تهتم أبدًا بالتفكير بنا وملاحظتنا ولو قليلاً.. كيف لا تعرف كيف تشعر زوجتك؟!

تلجم لسانه ولم يعرف ماذا يقول، لكنه كان يلطم وجهه في خياله ولا يدري ماذا يفعل، لكنه قال متلعثمًا:

- ولكني أحبك.. أحبكم جميعًا.. ربما لا ألاحظ بعض الأشياء، لكن كوني متأكدة إنني كل ما أسعى له هو حمايتكم من أي أذى أو خطر

ثم حك رأسه وهو يقول مدافعًا عن نفسه:

- أنا رجل أعيش دائمًا كمن يعيش على الحدود ليحمي أرضه من الأعداء، لذا كل انتباهي يكون منتصبًا على أي ملاحظة قد تُفضي إلى خطر محدق

ارتخت ثائرة وطار تحفزها بعيدًا عندما لامست ذلك الحب النقي في كلمات أوس، الحب التلقائي الفطري الذي يُهدى عن طريق

الأمان والحماية، فعندما يحاول من يحبك أن يسعى بكل وقته وبكل جهده حمايتك؛ تأكد من أنه يحبك بصدق حبٌ سوي نقي، ويصير بهذا أكثر شخص يهتم بأمرك وبراحتك، لذا ترقرقت الدموع بعينيها وهي تقسم في قرارة نفسها أنها ستعتني به وتحبه حبًا سرمديًا، ثم قالت له:

- أقدر ما تفعله يا حبيبي، لذا لا تقلق، وكن على علم بأنني أحبك وسأظل أحبك إلى ما لا نهاية، لكن على شرط واحد

فعكص ما بين حاجبيه متعجبًا وسألها:

- وما هو هذا الشرط؟!
- أن تظل أوس الذي عرفته وأحببته

فابتسم لها برقة وأومأ لها برأسه موافقًا وهو يقول:

- بإذن الله سأكون لكِ أوس الذي تعرفينه بل وأفضل

***

وقفت طيبة أمام سامي أخيرًا، كانا في حالة خجل شديدة ولكنهما كانا مستمتعان في ذات الوقت، فالحب يدغدغ قلبيهما بشجاعة بعدما كان متخوفًا يتدارى بين جدرانه، ثم قالت له:

- سننتظرك على الغداء اليوم، لا تتأخر

فقال مبتسمًا وهو ينظر لقدمه اليسرى يحركها على الأرض بعشوائية:

- لن أتأخر.. لا تقلقي

فقالت مرة أخرى:

- أتحب أن تأكل شيئًا معينًا

نظر لها مترددًا، ثم قال بخجل بعدما حسم قراره:

- لا.. لكن في الحقيقة أود أن آكل شيئًا من يديكِ أنتِ

خجلت طيبة وأطرقت بوجهها الأرض ولم ترد، فاعتدل سامي سريعًا يتفادى الحرج وهو يقول بمزاح:

- طبعًا إن كنتِ تستطعين الطبخ!

كشرت طيبة وجهها وهي تعقد ذراعيها على صدرها وتقول:

- ماذا تقصد بهذا؟!!

ابتسم بتوتر وهو يحك رأسه نادمًا على تلك الجملة البلهاء الغير مقصودة، ثم قال:

- لا أقصد شيئًا سيئًا بالطبع.. كل ما أعنيه هو إنني أتمنى أن أجرب طعامك إن كنتِ تريدين ذلك

ففكت طيبة عقدة ذراعيها بعصبية مفتعلة وهي تقول بفخر:

- امم!، حسنًا، سأذيقك حلاوة طبخي.. ماذا تريد أن تأكل؟
- أي شيء
- إذًا لا بأس بشئ أحبه أنا
- نعم بالتأكيد
- حسنًا!، لا تتأخر
- لن أفعل

ثم افترقا وعلى محيا كل منهما بسمة جزلة مشعة.

(١٥)

فتحت ذات العيون الزرقاء عينيها فجأة بعد ثلاثة أيام قضتها نائمة بين الحياة والموت، ولكنها رغم هذا ابتسمت، كانت إبتسامة غير معروف إلام ترمي أو علام كانت، ربما كانت بسمة انتصار، أو بسمة تفائل وأمل، أو كانت بسمة تعبة لا تفهم إن كانت جنونًا أم استسلام قاسي، ولكن إن رآها ديفيد لربما رَجُفت أوصاله وبلل سرواله...

ولقد كان بالفعل حينما وجد رسالة من سامي على جهازه المحمول الخاص، شعر بالخوف والرهبة، فها هو الآن وجهًا لوجه مع عشيرة الأوس ولولا وجود ذات العيون الزرقاء بقوتها التي يتحكم بها كليًا، ورجاله الذين في مختبراته، ورجاله الآخرون الذين يستطيعون إمداده بالعدة والعتاد ويحمونه؛ لمات فزعًا في مكانه.. لكنه بات يرتجف في مكانه غضبًا وهو يسب ويلعن على ما آلت إليه الأمور، حتى فاجأة انبثاق وجه سامي على شاشة الحاسوب الرئيسي وهو يبتسم بتشفي وانتصار، قائلاً:

- مرحبًا أيها المتغطرس الأحمق!.. ما رأيك فينا الآن؟

نظر ديفيد لسامي في بلاهة وقد توقف عقله عن العمل ولم يرد، فقال سامي مرة أخرى:

- أكنت تظن حقًا أنك ستستطيع خداعنا يا ديفيد؟!

فتعالت الصدمة على وجه ديفيد أكثر من ذي قبل وهو يقول بدون وعي وكأن يراوده كابوس:

- طوال ذلك الوقت كنتم تخدعونني؟!

فضحك سامي وهو يقول:

- وماذا كنت تظن أيها المغرور؟!.. لقد حطمك تكبرك وغرورك يا أحمق.. واعلم شيئًا مهمًا أنه كلما زاد تكبرك وغرورك كلما دل هذا على مدى جهلك وغباءك

وقبل أن ينهي سامي اتصاله به قال آخرًا مضيقًا عينيه بجدية وحكمة:

- ربما أنت هكذا لأنك من الغاوين الذين اتبعوا لوسيفر ملك الكبر والغباء.. أرجو أن تفيق ولا تكن أحمق أكثر مما أنت عليه

ثم أنهى سامي الاتصال وترك ديفيد في حالة ذهول وغباء.

فكان غبيًا عندما ظل على عهده، لا لان قلبه ولا دخله النور، ولا حتى فهم بعقله.

ثم صرخ بكل قوته وهو يسب ويلعن، وفي الخفاء من خلفه كانت بسمة ذات العيون الزرقاء واسعة متفائلة بعد أن سمعت ما سمعته، ثم أطلقت قدميها تجري بخفة ناحية غرفتها مرة أخرى بعد أن وجدته على وشك الخروج.. وبعد عدة دقائق جاءها ديفيد وهو يصرخ فيها قائلاً:

- كوني على أهبة الاستعداد، سنقتحم مكان تلك العشيرة بالغد

فوقفت ذات العيون الزرقاء على قدميها بعد أن كانت جالسة وهي تعقد ما بين حاجبيها، ترسم علامات عدم الفهم أمامه، ثم سألته:

- أحان الوقت؟

فزجرها ديفيد وهو يصرخ قائلاً:

- لا تسألي عن أي شيء فهذا ليس من شانك!، كل ما هو شأنك هو أن تنفذي ما أقوله فقط
- أنا أسألك لأنني أخاف أن أهزم

فرفع سبباته أمامها يحذرها بعصبية قائلاً:

- لا تقولي مثل تلك الأمور، نحن لن نُهزم أبدًا، خصيصًا أمام حزمة من أولئك الرعاع، الحيوانات البشرية.. وعمومًا لن أكتفي بكِ ولا بالرجال الموجدين في المختبر، بل سأقوم

يتجهيز فرقة كاملة من القتلة المحترفين والمأجورين، سأحتل منطقتهم وسترين ذلك بأم عينيكِ

ثم نظر لها بغل ونفاذ صبر وقال منذرًا:

- ويجب أن تنفذي أوامري بالكامل وإلا قتلتك

فنظرت له دون إبداء أي رد فعل، بوجه جامد لا يظهر عليه أي بوادر لغضب أو اشمئزاز، رغم إنها تغلي بداخلها، وقد كانت على استعداد لإردائه صعقًا، لكنها منت نفسها بأن الغد هو الضربة القاسمة له ولمن معه من كل الجهات، وأنها بالغد ستكون حرة، ثم أجابته:

- لقد رأيت أنه من الآمن لي أن أتبعك منذ الآن يا ديفيد
- هكذا ستأمنين شري يا "٥٢٥"، والآن اغربي عن وجهي

فأعطته ظهرها وخرجت وهي تحاول كبت جماح غضبها، تقبض كفيها ونطاق من الكهرباء تحيط بهما وهي تمني نفسها بالغد.

***

التفت سامي إلى صهيب وهو يقول له ضاحكًا:

- ما رأيك؟

توقف صهيب عن الضحك بصوت عالٍ ورد على سامي مجاهدًا للتوقف:

- لقد كان شكله مُضحكًا وهو مصدوم وخائف
- لنجعله يرتعب، يستحق أكثر من ذلك
- إذًا في الغد ستكون نهايته بإذن الله
- بإذن الله.. أنا أعتمد عليك في الغد.. ولكن خذ في اعتبارك أن هذا المجنون قد يهاجمنا في أي وقت، ربما ليس الآن لأنه يحتاج إلى أن يضع خطة بعيدة عن أعيننا، لذا سيقوم حاليًا بتنظيف نظامه كله من وجودي فيه
- لا تقلق!، سأخبرك الليلة بخطتي الدفاعية وبالخطة البديلة
- حسنًا سأنتظر

ثم وقف صهيب وهمّ بالخروج، إلا أنه توقف قليلاً يفكر، ثم قال:

- ما رأيك في فتاة الصاعقة؟.. هل تظن إنها ستكون معنا كما أظن أنا؟

فأومأ له سامي بالإيجاب، ولكنه رفع حاجبه متعجبًا وهو يقول:

- ولكن كيف تسألني وأنت كنت من تخبرني أن أثق بك في أمرها؟!
- أردت معرفة رأيك زيادة احتياط لا أكثر، ولا بأس بالشورى، فلربما أنا مخطئ لأنني منبهر بقوتها فقط
- لا تخف، تلك الفتاة حرة الدماء، ومتأكد أنها تتمنى الخلاص من ذلك كله في أقرب فرصة

ثم فكر قليلاً عاكصًا حاجبيه مستطردًا:

- لكن ربما يكون هناك عقبة

فنظر له صهيب متداركًا:

- تظن أنها قد تسئ فهمنا وتهاجمنا أيضًا لأنها لا تعرفنا، ظنًا منها إنها هكذا ستتخلص من حياتها تلك.. أليس هذا ما تفكر فيه؟
- نعم إنه كذلك..

فضاقت عينيه وهو يستشعر ما قد يقوله له قلبه، ثم قال مؤكدًا:

- ولكنني متفائل وأشعر بأنها فتاة ذكية

فتنهد سامي وقال:

- أرجو ذلك!.. لكن احذر أيضًا وفكر كيف تسيطر على قواها إذا حدث ما لم نتوقعه، أيضًا كن على استعداد في التحدث معها بالإنجليزية، فربما لا تفهم لغتنا
- سأفعل

ثم حك صهيب رأسه وهو يفكر، مستطردًا:

- سأفكر في طريقة لا تجعلها تخسر أكثر مما خسرت

فتعجب سامي في البداية مما قاله، ولكنه كان يفهمه، ثم قال مبتسمًا:

- في الغد سيظهر كل شئ

***

دخل ديفيد على ذات العيون الزرقاء في غرفتها صباح اليوم التالي دون استئذان ودون أن يراعي أنها امرأة، كأنها ليست إنسانة!، كان يشبه مدمني المخدرات أو الأحياء الأموات بعد أن سهر الليلة الماضية يقوم بتجديد نظامه وإنشاء جُدر حماية جديدة. نظرت له ذات العيون الزرقاء بقرف ونفاذ صبر على قلة احترامه لها، لكنها تراجعت عن نظرتها تلك على الفور حتى لا تفشل خطة اليوم، ثم قالت بفرحة مكبوتة بداخلها حاولت ألا تُظهر بوادرها على محياها:

- هل سنخرج الآن لأداء مهمتنا؟
- ليس الآن، أنا تعب ويجب أن أرتاح.. الليل أفضل بكثير من النهار

فأومأت له برأسها، فقال مرة أخرى وهو يرفع يده بحقيبة سوداء:

- هذه لكِ
- ما هذا؟
- أسلحة وبذلة خاصة بكِ، وجهازين لاسلكيين وبعض المعدات التي قد تحتاجيها خلال العملية

فأخذتها منه ثم خرج من حيث أتى وهو يمسك بجواله يتصل بأحدهم..

وفي غرفته ارتمى على سريره وهو يمسك بهاتفه مرة أخرى يُجري اتصالاً آخر وبعد هنيهة من انتظاره قال بدون مقدمات للآخر الذي على الجهة الأخرى من الاتصال:

- ماذا فعلت في ما أخبرتك به؟
- ...
- حسنًا هذا جيد، عند الثانية صباحًا سنتحرك
- ...
- اسمع!، لا أريد أن يعرف أحد بما طلبته منك ولا بما أفعله، إن خرج شيء مما بيننا سأنتهي وستنتهي معي، عليك أن تدرك ذلك؛ فاحذر!

ثم أغلق هاتفه ورماه بجانبه وشرد بالسقف يفكر بما سيفعله بعد ساعات حتى انغلقت عيناه تمامًا ودخل في نوم عميق. كانت حينها ذات العيون الزرقاء تنسحب من خلف باب غرفته الموصد بعد أن حاولت أن تتنصت على مكالماته، ثم ذهبت إلى غرفته الرئيسية للعمل، ونظرت بين الحواسيب وهي تحاول معرفة أي شيء آخر، ثم خرجت بعد أن لاحظت الكاميرا التي تعمل بالذكاء الصناعي وتنظر إليها، فخرجت بهدوء حتى لا يحدث أي جلبة من أي نوع وهي تفكر في ما ستفعله الليلة.

***

كان الكل متوتر داخل العشيرة، مشدودي الوتر، لكن وبالرغم من ذلك استمتعوا بيومهم الرياضي المميز. ثم اجتمع كلٍ من أوس وطارق وعدي وصهيب وسهيل وسامي في نهاية اليوم بالحديقة الواسعة، ينتظرون ما قد يحدث، فقال أوس:

- بعد اليوم سنقوم بالتجهز لرحلتنا إلى تلك البلد البعيدة؟

فأومأ الجالسين مؤكدين.

فسألهم طارق متوجسًا:

- هل من الممكن أن تفشل مهمتنا هناك إذا عرفت تلك المنظمة بما سيحصل اليوم ومعرفة أن أسرارهم قد كُشفت لنا؟

رد سامي بثقة:

- لا تقلق يا طارق!، بنسبة كبيرة لن يقوم هذا الأحمق بكشف فشله لهم، غروره سيمنعه، ولكن عندما نقبض عليه اليوم سنتأكد أكثر من صحة كلامي بعد أن نستجوبه

ثم أضاف صهيب:

- ليس غروره فقط ما سيمنعه، بل خوفه أيضًا، إن كُشف فشله لهم سيتخلصون منه على الفور، فهو لم يصل بعد للدرجة التي تجعله من أصحاب الفئة العليا

فقال سهيل:

- هكذا إذًا، رجل مغرور وخائف، سيكون تحطيمه سهل جدًا!

ابتسم عدي وقال بمرح:

- أنا متحرق شوقًا للتصادم مع من سيحضرهم.. لنلقنهم درسًا قاسيًا يا شباب

فهتف جميعهم ضاحكين بحماس:

- لنـــفعل ذلـــك

***

وقفت ذات العيون الزرقاء أمام المرآة ممتعضة مما تلبسه، فقد كانت البذلة ضيقة تبرز معالم جسدها، بل تشفه شفًا، على الرغم من إنها مريحة عند التحرك بها، ولكن كانت غير مريحة لنفسها وروحها، كرهتها ولا تستطيع عمل أي شيء بخصوصها، حتى اقتحمت عقلها فكرة جيدة وهي تنظر إلى الستار الأسود الحريري الذي يغطي نافذتها، فابتسمت وهي تعتلي كرسيًا وتنزع الستار من مكانه، وبعد أن عالجته؛ ارتدته بطريقة وشاح الأبطال الخارقين، فستر جسدها بطريقة مُرضية أراحتها بعض الشئ، ثم نظرت إلى النافذة التي ظهر من خلالها القمر كبيرًا منيرًا؛ ينير الدنيا بتلك الإضاءة التي تجعلك تشعر رغمًا عنك بأنك مرهف الحس مستعدًا لأن تكون شاعريًا، فابتسمت بأمل يدغدغ قلبها وهي تقول بهمس لنفسها: **"الليلة هي ليلتي"**.

حتى قاطعها قرع ديفيد لبابها بعنف وهو يصيح مُعنفًا:

- ماذا تفعلين كل هذا الوقت؟

فخرجت ذات العيون الزرقاء وهي حانقة ولكن تخفي ذلك بشكل جيد، فنظر إليها من قمة رأسها حتى أخمص قدميها وهو يقول هازئًا مغتاظًا:

- ما هذا القرف الذي ترتدينه على البذلة؟!

ثم أمسك بطرف وشاحها التي صنعته يهم بأن ينزعه، لكنها كانت قد سبقته ونزعته من يده وهي تتوعده بالويل قائلة بعينين مُحدقتين يخرج منهما شرر الجحيم:

- لا شأن لك بما أفعله في نفسي، المهم هو أن ترى نتيجة ما تريد مني تنفيذه.. لذا لا تتدخل في طريقتي أو في ما يخصني

فانزوى ما بين حاجبيه بغضب لقلة حيلته أمام خوفه الحقيقي منها رغم أنه يتحكم بها. وقبل أن يقول أي شيء أردفت بغضب وهي تنظر إلى عينيه أكثر بلا رادع يخيفها:

- لا تنس إنني محترفة في القتال أيضًا والأمر ليس مقتصرًا على قوتي الخاصة

ثم ابتسمت بخبث وهي تقول مرة أخرى:

- لقد دربتوني جيدًا؛ ألا تتذكر!، وأنت تعرف ما الذي أستطيع فعله بشخص مثلك دون أن يُرف لي جفن، فاحذر من أن تغضبني فأجن وأقتلك قبل أن تقتلني، وأنت تعرف إنني أفعل ما أريد حتى وإن وقف على قطع رقبتي.. لذا استفد مني فقط ولا تحاول أن تستفزني

فُخرس ديفيد هنيهة وكأنه تجمد، مُدركًا موقفه الضعيف أمامها لصحة ما تقوله، ولكنه قال محاولاً أن يثبت سيطرته دون أن يستفزها في نفس الوقت:

- افعلي ما تريدين الآن فليس لدينا وقت.. يجب أن نتحرك

ثم خرجا، لتجد ثلاثة من الممسوخين يقفون كآلات صماء، وثلاثون رجلاً آخرون يظهر على وجوههم الإجرام والعنف والضمير الميت، فنظرت لهم وهي تقول في نفسها: **"إن كان ما يقولونه عن تلك العشيرة حقيقة فهولاء الرجال لن يكونوا كافيين"**، ثم اعتلى ثغرها ابتسامة خافتة هازئة وهو تقول مرة أخرى لنفسها: **"إنني وحدي أستطيع القضاء عليهم بقبضة واحدة"**. فاقترب منها شخص منهم، تشعر من نظراته وطريقة وقفته أنه أخطرهم وهو يبتسم بعبث وشر وشهوة وهو يقول:

- يبدو إننا لا نعجبك يا صغيرتي!.. هل يظن رأسك الصغير هذا أننا لسنا كافيين مثلاً؟!

وقبل أن يحاول وضع إصبعه على وجهها، صعقته بطرف إصبعها وهي تقول بملامح جامدة قوية:

- لا تحاول أن تقترب مني مرة أخرى وإلا أنهيتك..

ثم ابتسمت هازئة وهي تنظر إليه واقعًا على الأرض، لتقول مرة أخرى:

- نعم!.. أنا أراكم ضعفاء للغاية أمامي

ثم نظرت للجميع وهم يقلبون نظرهم بوجل بينها وبين دانيال الذي كان يضرب الأرض بيديه من الألم ومن هدر الكرامة والهيبة، وقالت تحذرهم بنفاذ صبر وعصبية:

- لا تتصادموا معي، هذا لمصلحتكم!

ثم سبقتهم إلى السيارة وتركتهم ينظرون إلى دانيال الذي كانوا يهابونه لكثرة شره وجنونه. فنظر لهم ديفيد وقال محذرًا:

- لا تستخفوا بها!، إنها لوحدها قادرة على تدمير مدينة كاملة، ولا تقلقوا من مهمة اليوم؛ فهي ستحمينا بتلك القوة..

ولكن وجوههم لم يبد عليها ملامح الاطمئنان، فقال لهم مرة أخرى متبخترًا زاعمًا القوة:

- لا تقلقوا بخصوصها، إنها بالكامل تحت رحمتي

فقال أحدهم:

- أتضمن لنا هذا؟

فرد بكل ثقة:

- نعم!

فقال آخرمتشككًا متوجسًا:

- قوتنا نحن تكمن في أبداننا وعقولنا التي يملأها الجنون.. لكن هذه قوتها تختلف، نحن لن نستطيع التعامل معها إذا وقع خلل ما بتحكمك بها

فدخل القلق قلب ديفيد إلا إنه قال بنفس الثقة الشديدة:

- كما قلت لكم لا داعي للقلق أبدًا!

***

وقف سامي بجانب صهيب بعد أن قاما معًا بمراجعة تأمين كل المنافذ التي قد تقود إلى داخل العشيرة، إلا من ذلك المنفذ الذي سيكون مصيدة لهم، ثم قال لصهيب مندهشًا:

- كيف لاحظت كل تلك الثغرات وحدك!.. إن كبار العشيرة لم يلاحظوها إلا الآن؟

فضحك صهيب على اندهاش سامي وطريقته في التعبير وكأنه طفل صغير يرى مدينة الملاهي لأول مرة، ثم قال:

- الأمر ليس بهذه الصعوبة.. كل ما في الأمر إنني وضعت نفسي مكان الذي يريد أن يدخل إلينا، فرحت أجوب حول المكان بالخارج وكأنني غريب يريد الدخول، فظهرت لي الثغرات التي قد يسهل ولوجها ببعض الجهد، وبعد أن أمنتها رحت أطوق المكان مرة أخرى، وصرت أفكر من جديد كيف أخترقه، حتى وجدت عقلي يُظهر لي بعض الطرق الأخرى التي أستطيع بها أن ألج إلى الداخل، فقمت بتحصينها أيضًا، ثم أعدت الكرة حتى صعب عليّ دخولها تمًاما، فرأيت أن أطمئن أكثر بأن أجعلكم تجوبون حول المكان أيضًا لأجد إن كانت هناك حيل أخرى أم لا

فابتسم سامي بانبهار وهو يقول:

- أنت داهية يا رجل!!

فضحك مرة أخرى وقال:

- أنت فقط من ترى أنني فعلت أمرًا عجيبًا يدعو لكل هذا الانبهار!

فعكص سامي ما بين حاجبيه وهو يهز كتف صديقه بمرح:

- بل أنت من يتواضع فقط

ثم نظر إلى مكان أوس والآخرين وقال:

- لنذهب إليهم الآن فأوس يشاور لنا

فخمن صهيب وهو يُسرع بجانب سامي ناحيتهم قائلاً:

- هل أتوا يا ترى؟
- لا تتوتر!.. لا أظن أن أوس قد ينادينا وهو مرتخي هكذا
- ها.. صحيح!

فوقف سامي فجأة وقال وهو يوقفه:

- أنت متوتر بسبب تلك الفتاة، أليس كذلك؟
- ربما!.. لا أعرف حقًا!
- ما خطبك يا رجل؟!.. أنت تشعرني بأننا ذاهبين لنخطب لك، ما كل هذا التوتر

فابتسم صهيب وهو يلكزه في كتفه على مزاحه في مثل ذلك الوقت وقال:

- اخرس ودعنا نذهب إليهم

ثم جرى وسامي من خلفه حتى وصلا، فقال أوس متفاخرًا بصهيب يمدحه:

- يا له من ترتيب جبار يا صهيب، أنا مزهو بك

فابتسم صهيب بخجل، وقال:

- بعض ما عندكم يا أوس

فربت على رأسه وكذلك فعل كل من عُدي والبقية، ثم نظر أوس لسامي وقال:

- أترى أنهم قد يتأخروا أكثر يا سامي؟
- لا يا أوس، ربما هم الآن في الطريق إلينا

فقال عدي:

- أنا لست مرتاح يا سامي لتفريطك في إظهار موقعنا لهذا الشخص، أخاف أن يعرفه أولئك الناس

فقال سامي بثقة:

- لا تقلق يا عُدي، لقد أخذت احتياطاتي كلها وأنا أفعل هذا، هو الوحيد الذي يعرف العنوان، وصدقني لن يخبر أحد منهم على ما سوف يُقدم عليه اليوم
- حسنًا!، أنا أثق بك

ثم قال صهيب:

- عندما يأتي هذا الملعون إلينا، سنعرف إن كان ترك دليلاً على مكاننا أم لا، ولكنني أشك كسامي بأن يفعل هذا، إنه متهور متسرع لن يفكر بهذا الشكل وهو يرى هدفه الذي يتمناه يرقص أمامه طوال الوقت

فابتسم طارق وقال:

- لو يعلم هذا الأحمق بأنكما متمكنان منه تمكن السبع من عنق فريسته لمات بحسرته

فابتسما وهما يتخيلان ذلك، ثم قال سهيل:

- هذا الأحمق سيأتي وكله أمل في اقتحام مكاننا، سيقوم بدراسة المكان جيدًا حتى يرى ثغرة ما، وعندما يجدها سيبذل جهدًا كبيرًا لاختراقها، وعندما يفعل ذلك بعد صبر كبير منه، سيجدنا نحاوطه من كل مكان، أو ربما نحاوط رجاله أولاً؛ ثم يأتينا بقدميه مزهوًا، فيرى ما لا يسر عيناه، فيُجلط تمامًا

فضحكوا كثيرًا هذا المرة من طريقة سهيل العفوية المرحة حتى أدمعت أعينهم.

***

ترجلت ذات العيون الزرقاء من السيارة وهي تحاول الوصول بعينيها لمكان البوابة الرئيسية لمنطقة عشيرة الأوس وهي تكتم حماسها بداخلها بصبر، ثم نظرت لديفيد الذي وقف بجانبها ولعابه يسيل ككلب مسعور وهو يقول:

- لم يكن على هذا الأحمق أن يظهر لي منطقته، لقد قامت قيامتهم الآن

فسخرت ذات العيون الزرقاء منه في نفسها وهي تقول في سرها: **"يبدو أنك وقعت على رأسك وأنت صغير أيها الأحمق، كيف لا ترى إنها قيامتك أنت الآن!.. يبدو إنك جننت فعلاً بسبب تجاربك الغريبة تلك، أو إنك مجنون بالفعل"**.

ثم أمر الرجال الذين معه بشغف وحماس وهو يقول:

- استعدوا الآن، وأروني مهارتكم في الدخول إلى هذا المكان

ثم أشار لأسوار تظهر من على مسافة بعيدة، فاقترب دانيال منه وهو يتحامل على نفسه وقال حتى لا يظهر بمظهر الضعيف بعد ما فعلته تلك الفتاة به:

- ليس بالأمر السهل، لذا أترك هذا الأمر لي
- كنت أريد أن أقول لك افعل ما تريد، ولكن لا أريد تضييع الوقت، لذا سنتعاون جميعًا

- ليس عندي مانع!، تعاونوا كما تريدون ولكن سأعمل وحدي فأنا لا أريد الإزعاج

فرفع ديفيد حاجبه وهو يميل برأسه مفكرًا:

- أراك تريد العمل بجِد!.. قل لي ماذا تريد؟

فابتسم دانيال بخبث وقال:

- هل ستعطيني ما أريده إذا أدخلتك هناك؟
- لا تقلق، ستحصل على كل المال الذي تريد إذا كنت أول من وجد ثغرة دخولنا إلى هناك

فابتسم مرة أخرى إبتسامة قذرة معتوهة وهو ينظر إلى ذات العيون الزرقاء بطرف عينيه بغل وقال:

- أريد رأسها
- ولكنها أغلى سلاح عندي ولا أريد التخلص منها الآن
- لم تفهمني!.. أريد أن أذلها وأعذبها وأتحكم بها، أريد أن أحطم كبريائها بنفسي

فابتسم ديفيد وقال بكل سرور:

- لقد فهمت!،.. لك هذا، فهي تحتاج إلى ترويض ضروري من شخص مثلك؛ شخص ترتعد له ساحات التعذيب النفسي والجسدي

فابتسم بانتصار وهو ينظر لها متوعدًا بكل ويل وهلاك، ثم قال:

- اتفقنا!

وقفت ذات العيون الزرقاء تنظر لهما وهي تستشعر بأنها طرفًا في هذا الحديث الخفي الذي دار بين كل من ديفيد ودانيال.. تعرف أنه يريد الانتقام منها، وينوي على شيء سئ لها، لكنها لم تعطي للأمر أهمية واكتفت بأن ترد عليهما في سرها: **"إن لم أقتلكما اليوم وشاء القدر أن نتلاقى، سأجعلكما تتحسران على التفكير في أذيتي، سأكون سببًا في الانتقام لكل الأبرياء الذين ماتوا على يديكما أيها الوغدان الحقيران"**.

اقتربوا حثيثًا من الاسوار وهم يتخفون بشكل جيد، وكل منهم يحمل أجهزة وأدوات تسهل عليهم دراسة المكان وإخراج الثغرات التي يضعف الحماية فيها. فوجدوا الكثير من كاميرات المراقبة التي تعمل بالذكاء الصناعي والتي قد تقوم بتشغيل الإنذار في أي وقت إذا قاموا بالاقتراب أكثر وتم كشف تمويههم، والكثير من الجنود والذئاب بواسطة جهاز الرصد الحراري للأجسام، وجدوا أيضًا أن المكان محاط بحيز من الليزر إذا تخطاه أحدهم قد يتحول في أقل من دقيقة إلى قطع صغيرة محترقة، فصعبت عليهم مهمتهم،

وفترت حماسة ديفيد وكاد أن يفقد عقله عندما وجد أن من الصعب أن يخترق كل من تلك الأجهزة وإيقافها في ساعة واحدة على الأكثر، كاد أن يدمدم بقدميه على الأرض كالأطفال وهو يقول فاقدًا رشده: **"افتح لي يا سمسم.. أرجوك!"**، حتى جاء دانيال وهو مُلتفح بعباءة الغطرسة والغرور قائلاً:

- لقد وجدت المنفذ للداخل!

فوقف ديفيد وهو يتمايل من شدة الفرحة وهو يقول:

- أين وكيف؟

وقلقت ذات العيون الزرقاء، خافت أن يكون قد وجد هذا الوغد المنفذ بالفعل دون دراية أهل العشيرة، خافت ان ينجح ديفيد في الحصول على مبتغاه، وخافت من أن تظل مأسورة طوال حياتها القادمة حتى تموت، خاصة أنها كانت تعتقد أن أهل العشيرة سوف يخرجون لديفيد ويتخلصوا منه إلى الأبد، فأصبحت شاردة دون وعي كامل وهي تتبعهم إلى مكان ما سيأخذهم دانيال.

وقفوا جميعًا أمام أنبوب كبير الحجم يخرج من الجدار وينفذ بداخل الأرض، ثم أشار إليه وهو يقول:

- هذا منفذنا إلى الداخل

فقال أحدهم بتهكم:

- كيف وهو بداخل حيز الليزر، أيضًا كيف تعرف أن هذا الأنبوب قد يصلنا إلى الداخل

فنظر له دانيال بعلياء يقرعه:

- أنا لا أخطئ يا أحمق

ثم وقف على جزء معين من الأرض التي يقفون فوقها وقال:

- إذا حفرنا هنا سنصل إلى التجويف الذي يلقي فيه هذا الأنبوب محتوياته

فنظر له ديفيد يسأله بلهفة مجنونة مختلة:

- هل تأكدت من أن هناك تجويف تحت تلك البقعة أم إنه أنبوب يتصل بأنابيب تحت الأرض فقط؟

فنظر له بثقة وثبات:

- لقد تأكدت بالفعل من جهاز المسح الجيوغرافي، تحت تلك البقعة تجويف كبير بحجم غرفة صغيرة، وتشير الترددات بأنها خالية

تفاقمت سعادة ديفيد وراح يأمر الرجال بأن يحفروا معه تلك البقعة بسرعة، فاستجابوا دون تفكير بسبب تلك العدوى التي سرت فيهم

بفضل ديفيد المحموم بلهفة الدخول؛ وراحوا يحفرون بنهم للدخول سريعًا وتنفيذ المهمة في وقت قياسي، أما دانيال فكان مغترًا بنفسه أكثر من اللازم ليفكر إن كان هذا فخًا أم لا، ربما لأنه أول من وجد المنفذ، أو ربما لأنه أراد أن يكون الشخص القوي الذي يجب على الناس أن يتبعوه، ويتفادوا ما حصل اليوم أمامهم على أيد ذات العيون الزرقاء ويتناسوه. إلا هي فقد كانت تفكر جيدًا، فكرت والأمل يرواد قلبها في إحتمالية أن يكون هذا فخًا، تسائلت عن جدوة وجود تلك الغرفة وهي فارغة، ولماذا بُنيت في هذه البقعة تحديدًا بعيدًا عن أجهزة الاستشعار والليزر والكاميرات والحراسة الشديدة، تسائلت كيف لهؤلاء القوم مع كل وسائل الحماية تلك أن يغفلوا عن تلك المنطقة بالتحديد؟!، لذا فتئت تدقق النظر في كل شيء حولها، وأكثر ما لفتها هو الأنبوب وطريقة وضعه في الجدار التي تشعر بأنها حديثة، بل وهيئ لها أن الطلاء يظهر حوله حديثًا أيضًا عن باقي طلاء الجدار، ولكنها استغربت عدم خروجهم في الحال والقضاء عليهم في أسرع وقت ممكن، ثم قالت لنفسها: **"أتمنى أن يكون ما أشعر به حقيقيًا"**، ثم نظرت إلى ديفيد وقالت:

- أريد أن أكون أول شخص ينزل إلى تلك الغرفة

فنظر لها دانيال مضيقًا عينيه وهو يسألها بتوحش:

- لماذا تريدين ذلك؟

فابتسمت بخبث وهي تقول بثقة:

- لأنني لا أهزم بسهولة، سأكون مصدر أمان أكثر لكم وأنا هناك

فالتمع ما اقترحته في عينيه، ثم نظر إليها وقال:

- أظن ان هذا سيكون أفضل!

ورحب البقية بأن تكون هي كبش فدائهم، فهذا سيكون أكثر راحة لهم، خاصةً إذا قضت عليهم وقضوا عليها في نفس الوقت، فالخلاص منها ومن قوة كمثل قوتها أفضل لهم، فهي بينهم منافس لا يستطيع أحد منافسته أبدًا.

وبعد ساعة من الحفر المتواصل، ظهرت الغرفة، فاقتربت ذات العيون الزرقاء وقالت:

- أظن أن علىّ الاستعداد الآن؟

فقال ديفيد:

- أظن ذلك!.. تجهزي

فتجهزت بعدتها وأدواتها ثم نزلت رغم اعتراض دانيال الذي كان يشعر أن خلف طلبها هذا أمرًا ليس عاديًا، وقبل أن تختفي من أمامهم قال لها بحزم وكأنه يشك بها:

- عندما تخرجين للجهة الأخرى يجب أن تحادثينا عبر اللاسلكي لتُعلمينا بما يوجد عندك

فأومات له بنفاذ صبر بتنفيذ ما يريده، ثم اختفت من أمام أعينهم بداخل الأنبوب، فنظر بدوره إلى ديفيد وهو يقول:

- هل أنت متأكد بأنك تستطيع أذيتها بذلك الجهاز حتى لو لم تكن بيننا الآن؟
- بالتأكيد نعم!.. لا تقلق، لقد جربت الألم في كل مرة حاولت التمرد فيها، لذا لن تفعل أي شيء قد يجعلها تعاني هذا الألم مرة أخرى

فابتسم دانيال برضا كبير وهو يُمني نفسه باللهو بها عما قريب، وفي تلك اللحظة كانت ذات العيون الزرقاء تسعى بكل طاقتها للخروج من تلك اللعبة الدنيئة وكل ما يهدد الباقي من حياتها؛ وليس من ذلك الانبوب فقط، وبعد عشر دقائق كانت أمام الغطاء الذي يسد الأنبوب ففتحته بجهد بالغ وهي تلتقط أنفاسها التي كادت أن تنقطع خلال تلك الرحلة العجيبة لها في داخله. ثم ظهرت لها السماء من جديد، فخرجت وهي تنظر حولها، ثم شعرت بخيالات سوداء كأشباح تراقبها؛ وما إن بدأت تظهر من حولها بشكل أكبر حتى تبينت ملامحهم بالكامل وقد كان كل واحد منهم يجاوره ذئب

ضخم عيناه تبرقان، فرفعت عينيها بأعينهم حتى قالت متعجبة بهمس:

- أنتم حقًا عشيرة من الأوس!

وقبل أن تخطو خطوة واحدة للأمام زمجرت الذئاب، فوضعت إصبعها على فمها كمحاولة لإسكاتها وهي تقول بصوت خفيض:

- اصمتوا سيسمعوننا

فابتسم صهيب وهو يخرج من بقعة الظل بشعره الأقرب للون الأحمر الناري وعينيه الزجاجتين البراقتان، ومن خلفه سامي وهو يقول براحة:

- إنها معنا إذًا

وقال الآخر بمفاجأة:

- وتتكلم العربية أيضًا!

فوقفت بقوة وشدت جسدها وهي تقول بثبات:

- إذًا يبدو أنكم تعرفون من أنا وتتوقعون قدومي أيضًا!

فقال صهيب بود:

- نعم وتأملنا أن تكوني بجانبنا.. ما رأيك؟

فذُهلت ذات العيون الزرقاء وهي غير مصدقة بأنها تُخير وليست مجبرة على فعل شيء، ثم قالت وهي ترفرف بعينيها مُجفَلة:

- هل ستعطوني حريتي؟، ولن تجبروني على فعل أي شيء لا أريده؟

فقال لها أوس هذه المرة بصوته القوي الرخيم:

- نحن هنا نتعاون، ولن تُجبري على فعل أي شيء لا تقتنعين به أبدًا، كما أننا لن نجبركِ على المكوث بيننا، لكِ الحرية في الاختيار؛ إما أن تتركينا، أو تمكثي بيننا كمحاربة مثلنا، أو ضيفة تبغى الأمان

تجمدت في مكانها وتوقفت عن الطرف بعينيها وهي مذهولة من طريقته المريحة وهو يحادثها بتلك السلاسة، كانت منذهلة أكثر من نفسها لأنها تصدقهم، كانت خائفة من الوقوع في حفرة أعمق لمجرد أنها تريد التخلص من ديفيد وجماعته، وكل تلك الاختبارات غير الآدمية، ولكنها بالرغم من ذلك ما زالت تشعر إنها تصدقهم، ربما لأنه كما يقولون أن للأخيار هالة تحيط بهم كما للأشرار كذلك.. وظلت على حالها من الذهول حتى أخرجها من حالتها تلك اتصال ديفيد بها وهو يقول عبر اللاسلكي بلهفة شبقة:

- هل دخلتي؟.. "٥٢٥" أجيبي

فردت عليه وهي تقول:

- لقد دخلت، ولكني مازلت أستكشف المكان.. عندما انتهي سأقوم بإعطائك الإشارة بالدخول

ثم رنت إليهم بعينيها الزرقواتين الخلابتان وقالت بحماس:

- إنهم ثلاثون فردًا من أشهر القتلة المأجروين على مواقع الـ "Dark Web"، ويوجد ثلاثة رجال تم التعديل عليهم وراثيًا وتغيير أطرافهم بأطراف فولاذية وأسلحة فتاكة.. هل تستطيعون التغلب عليهم، أم أقضي أنا عليهم جميعًا؟

فابتسم صهيب وهو يقول بمرح وتحدي:

- يبدو إنكِ لا تعرفينا بعد

ثم تقدم لتصبح خلفه وهو يعطي الإشارات المتفق عليها بينهم ليأخذ كل منهم مكانه، ثم نظر إليها وهو يرفع حاجبه الأيسر يقول مبتسمًا:

- ارتاحي أنتِ اليوم وشاهدينا

نظرت له وهي لا تفهم طريقته في الحديث معها؛ إذا كانت متحدية أو مساعدة، ولكنها كانت تشعر بأنها تريد أن تشاهده يتحدث بتلك الطريقة وتبتسم، ثم قالت وهي تبتسم فجأة:

- أنت مسلٍ جدًا

فخفتت إبتسامتة وارتعش جانب شفته السفلى وكأنه سيصاب بالشلل الرعاش، والجميع من حوله يضحك، فقال لها وهو يتنحنح حرجًا:

- حسنً!، عندما ننتهي من المهمة سأسليكِ كيفما شئتِ

فاومأت له توافقه بجدية لا تحسد عليها، فرفع حاجبيه متعجبًا، مستسلمًا لسذاجتها تلك، فدفعه سامي من كتفه وهو يقول ضاحكًا بخفوت:

- أنها لم تتعامل مع بشر غير هؤلاء الذين كانوا مثلها، لا تكن أحمقًا
- لقد قالت إنني أسليها يا سامي!
- وما العجيب في ذلك، إنها ترى قردًا أحمر الشعر يعرض عروضًا ترفيهية

ثم أمسك شعره يشده ليغيظه، فوكزه صهيب بكعوعه في معدته وقال:

- سنرى من سيكون القرد الآن!

فتلوى سامي وهو يستند بكفيه على ركبتيه ضاحكًا منقطع الأنفاس، فنظر لهم البقية بجدية، ثم قال أوس:

- أثبتا الآن!

فتوقف كلاً منهما عن العبث، ووقفا ثابتان ينتظران الأوامر، ثم نظر أوس لها وقال:

- بعد خمس دقائق أعطي لهم الإشارة بالدخول
- حسنًا

ثم نظر إلى الجميع وقال:

- كلٍ يرجع إلى مكانه مرة أخرى

فامتثل الجميع وعاد كلٍ منهم إلى موقعه، ثم نظر إلى ذات العيون الزرقاء وأردف بلطف:

- كوني في استقبالهم كما كان يجب أن يكون

فاومأت برأسها امتثالاً له، وبعد مُضيّ الخمس دقائق، أعطت ذات العيون الزرقاء الإشارة بالدخول، وانتظر الجميع حتى اقترب أحدهم من الخروج من فوهة الأنوب. كان دانيال هو أول من خرج منه، وقبل أن يتجه ناحية ذات العيون الزرقاء، كانت كف صهيب على فمه تمنعه من الكلام، وبيده الأخرى كان يثبت جسده ليمنعه من الحراك بحرية، ثم وبحركة سريعة من قدمه جعلت دانيال يتوقف عن الحراك ويركع على ركبتيه متراخيًا، ثم وبضربة أخرى نحو عنقه، جعلته يهمد ويسكن إلى الأبد، فحدقت ذات العيون الزرقاء بعينيها في انبهار وهي تقول:

- أنتم حقًا لا يستهان بكم، إنكم أقوياء بالفعل كما يقولون!

فابتسم لها صهيب وهو يرفع حاجبه الأيسر مستمتعًا متحديًا ثم قال قبل أن يجره إلى الخلف:

- متشوق لأرى قوتك عن قرب

فابتسمت وهي ترفع حاجبها بذات التحدي وقالت:

- سترى قريبًا

ثم استمر هذا الأمر حتى انتهى الأمر بقتل الثلاثون قاتلاً، ووقف الأمر على ديفيد الذي ما زال بالخارج، اتصل لاسلكيًا بدانيال، فنظروا إلى بعضهم البعض، فبادرت ذات العيون الزرقاء بالتصرف وردت عليه، ليقول مستغربًا:

- لماذا تجيبنني أنتِ؟!
- دانيال الآن يتوغل بالداخل ولقد أقفل جهاز اللاسلكي خاصته حتى لا ينتبه له أحد

لم يجيب ديفيد سريعًا وكأنه يتفكر، لكنه قال:

- حسنًا!، سآتي الآن.. ومن بعدي سيأتي المتحولون
- حسنًا

وبعد أن قطعت الاتصال معه، قالت محذرة:

- لا تستهينوا بقوة أولئك الثلاثة!... ربما أنتم أقوياء ومختلفون؛ لكنكم بشر رغم كل شيء، جزء من تلك الطبيعة التي خلقها الخالق، لكن أولئك الثلاثة أصبحوا خارقين عن الطبيعة.. لم يعودوا بشر يملكون أي شعور بالشفقة أو التردد أو الخوف، أجسامهم أصبحت أقوى؛ تقاوم الألم بسبب تغير هيكلهم العظمي بآخر فولاذي وأطراف مسلحة.. لذا لا تحاولوا التراخي أبدًا أمامهم، استخدموا أقصى درجات العنف معهم، وإن لم تستطيعوا سأتدخل بنفسي

فابتسم لها أوس وقال بثبات وثقة:

- شكرًا لكِ لأنكِ قلقة، وشكرًا لعرضك علينا المساعدة، ولكن لا تقلقي، فربما لأننا بشر نمتلك قلوبًا ترتجف خوفًا على أحبائنا من أي خطر، ونشعر بالشفقة على الضعفاء ونغضب لأجلهم، لأننا نحب الله ونسعى في الدنيا بالعبادة والامتثال لأوامره؛ سننجح، لأننا سنحارب بقلب ملئ بالإيمان والثقة والمبادئ، ذلك القلب هو سر قوتنا

نزلت تلك الكلمات بقلب ذات العيون الزرقاء نزول المطر على أرض جافة، ظمآة، كاد أن يحولها الجفاف إلى أرض بور لا نفع منها ولا رجا، فابتسمت براحة وسكينة، واتطمئنت لأيام قادمة

تستشعر طيبتها، ثم فجأة ظهر أمامها صهيب الذي همس بمرح وهو يشير إلى قلبه بمسرحية:

- شاهدي الآن ما لقلوبنا العامرة قادرة على فعله

حينها كانت رأس ديفيد وأنامله قد بدأت تظهر وهو يحاول الخروج من الأنبوب، فأمسك به صهيب على الفور وجره للخارج بعنف، ليتفاجئ ديفيد وهو ينظر حوله بصدمة، فصرخ بعصبية وهيستريا شديدة بعد مفاجئتهم له بهذا الشكل وتكبيله كشاة ذاهبة للذبح، ثم نظر بغل لذات العيون الزرقاء التي كانت تشاهد نهايته بارتياح وسلام وهو يقول متوعدًا مهددًا:

- لقد خنتنا أيتها اللعينة.. سأقطع لكِ عنقك وأحرقكِ أيتها العبدة القذرة

فضغط صهيب على عنقه وهو يجز على أسنانه بحنق وغضب قائلاً:

- لا تخاطبها هكذا وإلا قطعت لك عنقك الآن

ثم صرخ فيه بغل مستطردًا بوعيد حاد سُن ليقع دون رأفة:

- فلا تستفزني مرة أخرى

ما إن قال صهيب كلماته تلك حتى شعرت ذات العيون الزرقاء بأن وهجًا ما يخرج من صدغيها وعينيها وجبهتها، مصدره قلبها الذي

أصبح يدق كثيرًا.. لم يكن خوفًا ولم يكن قلقًا، كان شعورًا آخر لطيف لم تعرف كنهه أبدًا، لكن ما استطاعت تمييزه في هذا الوقت؛ هو أنها فرحة، لأن هناك من يدافع عنها ويرد عنها الإساءة.

فنظر له ديفيد بغضب وكره وقال:

- رجالي الثلاثة لن تقدروا عليهم، وسأنتقم منكم جميعًا

فنظر له صهيب غير مصدق تبجحه وهو يقول بسخط:

- تريد الانتقام!.. ممن؟!.. من أناس لم يفعلوا لك شيئًا غير أنهم يدافعون عن أنفسهم؟!.. من هذه الفتاة لأنك تحبسها وتعاملها كملكية خاصة لك؟، من كل الذين دمرتهم بتجاربك القذرة أيها القذر؟!... أتدري لو استيقظ أولئك الثلاثة مما هم فيه؛ سيقتلونك شر قتلة، لقد دمرتهم أيها الحقير، وبكل وقاحة تقول إنك تريد الانتقام، أيعقل هذا!

فصرخ ديفيد فجأة بأعلى ما لديه، حتى صار لون وجهه أحمر كعرف الديك وهو يقول:

- تعـــالوا الآن

وعلى إثر صوته دخل الثلاثة المتحولون من خلال الجدار، محطمينه بسهولة بالغة وهم يزمجرون كحيوانات ضارية مرعبة، فذُهل رجال عشيرة أوس من هيئاتهم التي صاروا عليها.. لقد

تغيرت هياكلهم، فأصبحت أطرافهم فولاذية كأطراف الحيوانات، تعمل عملها وتتميز بمميزاتها، كانوا حليقي الرأس وتظهر عليها علامات التقطيب الناتجة عن عمليات زرع الشرائح الإلكترونية، كما كانت أسنانهم وفكوكهم فولاذية كذلك، وكل فك يشبه فك إحدى الحيوانات الضارية، فكان أحدهم يملك فكًا كفك الليث، والآخر يملك فكًا كفك الذئب، والثالث يملك فكًا كفك التمساح، لذا كان كل واحد منهم قادر على تمزيق الحديد وتحطيم الحجر بأسنانه وليست اللحوم فقط.. وما إن رأى ديفيد تلك النظرة على وجوههم حتى رُدت إليه إبتسامته وثقته وهو يقول بتشفي:

- لقد لعبتم مع الشخص الخطأ أيها القذرون

فنظر له صهيب بغل وهو يضيق قبضته على عنقه صارخًا بغضب:

- أنت مريـــــض، أنت لست إنسانًا أبدًا.. أنت شيطـــــان!

جحظت عينيّ ديفيد وشعر إنه على وشك الموت؛ فأعطى الإشارة بيده بالهجوم في الحال.. وقد كان هجومًا ملحميًا، فلقد وقف أوس وعدي بكل قوتهما أمام واحد فقط ولم يستطيعا التغلب عليه بسرعة، ووقف طارق وسامي وسهيل أمام الآخر ولم يكف أبدًا للسيطرة على هياجه وقوته، أما الثالث فوقف أمامه صهيب وحيدًا، يهاجمه بكل قوته، ولم تفتر عزيمته وقوته في كل مرة كان يقع

فيها، بل كان يقف مرة أخرى بعزيمة أكبر وقوة أكثر ويزيد هجومه ضراوة، وكل ذلك كان أمام عينيّ ديفيد الذي ظل يضحك بهستيريا وكأنه جُن تمامًا.. ثم مر الزمن الذي حدده فريق أوس مع باقي العشيرة بعدم التدخل؛ لتتعالى صافرات الإنذار بعدها تزف وصول النجدة، ولكن قبل أن تتدخل قوات النجدة؛ كانت ذات العيون الزرقاء قد تدخلت بالفعل، عندما سالت دماء أحدهم أمام عينيها، فوقفت أمام ديفيد وقالت بغضب مكبوت وعلى زاوية ثغرها إبتسامة هازئة ساخرة:

- أنا لن أدعك بعد الآن تبتسم تلك الإبتسامة المجنونة مجددًا.. لن أجعلك تدمر آخرين بعد الآن..

ثم صرخت بحقد:

- لن أجعلك تؤذي هذه العشيرة أيضًا

فتجعد جبين ديفيد بقلق وهو يرى يدي ذات العيون الزرقاء تمتلئ بالطاقة الزرقاء دون أن تتألم بفعل الشريحة، فصرخ بهستريا متسائلاً:

- كيف هذا؟!... كـــــيف!!

فضحكت ذات العيون الزرقاء بصوتٍ عال وهي تعطيه ظهرها وقد أحاطتها الطاقة الزرقاء بالكامل، ثم وجهت صاعقاتها إلى كل

من الثلاثة فجعلتهم كخرق بالية متفحمة أمام كل رجال العشيرة الذين اجتمعوا للنجدة، وأمام أوس وفرقته، وسط صرخات ديفيد وولولاته وشهقاته وسباته المقززة لها.

***

(١٦)

أفاقت ذات العيون الزرقاء على ضوء شمس ما قبل الغروب الخافت النافذ من النافذة المجاورة لها، وعلى الرفرفات الهفة من ستائر النافذة البيضاء، والنسمات اللطيفة تداعب وجهها وخيالها، تراودها على النهوض من السرير والتمتع بتلك الأجواء.. فأدارت رأسها إلى الناحية الأخرى لتجد أربع فتيات يصفن بجانبها وعلى محياهم إبتسامة مرحبة مهللة، فابتسمت بدورها رغم حذرها، ثم نظرت أمامها نحو مصدر الأصوات الغريبة؛ لتجد صهيب جالس على الكرسي بشكل مرتخي ويطلق شخيرًا كل حين وحين، كانت يده مضمدة وبجواره سامي على كرسي آخر يحذو حذوه، فاطمئنت عندما وجدتهما، ثم نظرت للفتيات مرة أخرى وسألتهم متوجسة:

- ما زلت في منطقتكم أليس كذلك؟.. أنتم عشيرة الأوس؟!

فابتسمت لها ثائرة وقالت تطمئنها:

- نعم بالفعل، أنتِ بيننا الآن، لا تقلقي

فزفرت ذات العيون الزرقاء براحة وقالت:

- شكرًا لاستضافتي هنا معكم

- لا تشكريني يا عزيزتي، فهذه العشيرة أصبحت عشيرتك كما أصبحت عشيرتي كذلك

فتحت ذات العيون الزرقاء عينيها وهي تقول بدهشة:

- هل أنتِ مثلي أيضًا؟

فردت طيبة هذه المرة وقالت:

- إنها زوجة أخي أوس قائد فريق البارحة، لقد تعرفت عليه في مهمة جمعتهما بالصدفة ثم أصبحت منا

فأومأت لها ذات العيون الزرقاء وهي لا تعرف ماذا تقول او ماذا تفعل، فهي لم تتعود على حياة اجتماعية تستطيع فيها التمازج والتواصل مع بشر مثلها إلا للقتال فقط، فأراحتها سلمي التي نظرت لها بحنان قائلة:

- لا تقلقي إن لم تستطيعي التعبير، لا تضغطي على نفسك في التفكير في كيفية مجاراتنا.. عبري كيفما تشائين فنحن نتفهم هذا ونتفهم ما مررتي به

ثم قالت سما وهي تستحضر مرحها حتى لا تبكي:

- أما أنا وأنتِ فنتشابه يا عزيزتي..
- هل تملكين قوة ما

فضحكت سما بخيبة وقالت:

- لا أبدًا!، ولكنني كنت يومًا ما مأسورة مثلكِ لقوة طاغية أخرى، ولكنها تصب في نفس مصب القوة الطاغية التي كانت تستحوذ عليكِ

فرفعت حاجبيها بدهشة وقالت بفضول:

- احكي لي ماذا حدث معكِ إذن

حكت لها سما كل ما حدث معها بالتفصيل الممل وشاركتها أيضًا ثائرة في الجزء الذي ربطهما ببعض وكذلك بقية الفتيات التي كانت كل منهن لها دور فعال أو ذكرى في تلك الحكاية، فامتلئت ذات العيون الزرقاء دهشة وقالت:

- حقًا لم أعتقد يومًا أن مثل هذه الأشياء المخيفة موجودة!.. ربما بالطبيعة أخاف الظلام، أحيانًا أيضًا أشعر بأن أعين تراقبني ويقشعر بدني، ولكن لم أكن أتخيل أن هناك أشياء مخيفة كتلك

فقالت لها سلمى:

- لكن لا تقلقي، لن يمس الإنسان ضُر طالما يحتمي ويتحصن باسم الله، وإن تأذى فبإذن الله أيضًا ولكن خلف هذا الأذى حكمة وأجر وخير

فشردت ذات العيون الزرقاء بحزن وقالت:

- أنا لا أعرف كيف أتحصن.. لا أعرف شيئًا أبدًا عن الله.. إلا من شعور هنا

ثم أشارت على صدرها، فابتسمت لها سلمى ومقلتيها قد امتلئت بالدموع وقالت:

- لأن الله أقرب إلينا من حبل الوريد، هكذا قال لنا جل علاه في القرآن

فقالت ثائرة وهي ترى السؤال التالي يموج بداخل عينيها الزرقاوتين:

- سنعلمك كل شيء عن الله وعن رسله وعن كتبه فلا تحتاري

فاستضائت تقاسيم وجهها فرحة وقالت بأمل:

- حسنًا

فنظرت لها طيبة بحب وقالت:

- كم أنتِ جميلة الفطرة!، وقلبك من ذهب.. لقد خفت في البداية منكِ عندما رأينا قوتكِ الكبيرة، وتناقشت كثيرًا في أمرك، لكنني مرتاحة الآن لأنني وثقت بما قاله صهيب وسامي وإلا كنت سأندم كثيرًا

فنظرت ذات العيون الزرقاء إلى صهيب متفاجئة، ثم نظرت لها مرة أخرى وسألتها:

- صهيب صاحب الشعر الأحمر، أليس كذلك؟
- نعم

فسألتها مرة أخرى والفضول يتنامى بداخلها كشجر اللبلاب:

- وماذا قال؟
- لم يكن يراكِ شريرة على الإطلاق، كان يشعر إنكِ ستكونين بجانبنا يومًا ما، وسامي كان يصدق هذا، فهو أكثر شخص راقبكم

فابتسمت ذات العيون الزرقاء وهي تشعر بالتميز لأن هناك من يثق بها، هناك من وجد بها شيئًا طيبًا رغم قوتها المخيفة، لأول مرة تجرب شعورًا يختلف عن شعور القلق والخوف والتربص والتوجس، إنها الآن تشعر كما يجب أن يشعر الإنسان العادي كما تظن وتحلم.

ثم قالت سما بتمني:

- أتمنى أن أمتلك مثل قوتك!.. فأنا ضعيفة هشة، أحتاج من أتكئ عليه

فجاءهم صوتها الهادئ العذب من خلفهم وهي تقول:

- كيف تقولين على نفسك هذا الكلام وأنتِ التي لم تستطع أثير كسرها!

فدارت لها وجوههم تقابلها بإبتسامات مرحبة، ثم سألتها ثائرة:

- ما أخبار طارق الآن؟
- الحمد لله لقد أصبح بخير الآن

ثم نظرت لذات العيون الزرقاء وقالت بامتنان وهي تمسك بيديها بلطف:

- لقد أرسلكِ الله لتكوني سببًا في إنقاذ زوجي طارق، ومساعدتنا، شكرًا جزيلاً لكِ

توردت وجنتي ذات العيون الزرقاء وهي التي لم تتعود على أن يشكرها أحد، بل ومنذ الساعة التي دخلت فيها منطقة عشيرة الأوس وهي تتعجب من كثرة التبسم في وجهها، وترديد عبارات الشكر والثناء، فنظرت لها وكأنها تحلم وهي مستيقظة أو تعيش في دنيا لعالم آخر سقطت فيه من شدة تمنيها التخلص من حياتها المظلمة التي تعيشها، ثم قالت وهي تحاول دون جدوى تجميع جملة مفيدة:

- لا شيء على الإطلاق

فنظرت لها سيلا بحب وقلبها يشفق عليها، متفهمة نوع الحياة الاجتماعية التي كانت تعيشها، ثم قالت:

- بل كل شيء.. ونحن جميعًا سعداء بوجودك بيننا

فازدادت توهجًا وبريقًا وهي ترمي حياتها السابقة المظلمة خلف ظهرها للأبد وهي تنظر للمستقبل بأمل.

***

وقف كلٍ من أوس وعدي وسهيل أمام ديفيد المكبل، يستجوبونه عن كل شيء يعرفه بخصوص تلك المنظمات التابعة لمنظمته، وعن الذين يساعدونه في وطنهم، وعن كل تلك الأمور السيئة التي فعلها لأولئك الناس الذين وقعوا تحت قبضة جنونه وشروره... وكان هو كالصخرة التي لا تسمع ولا تتكلم ولا تفهم، حتى انطلق أوس ناحيته بعصبية وكأنه بركان فائر سيحرق كل شيء، ثم نظر إليه وعينيه تبرق وترعد يخرج منهما الشرر، ثم أمسك بتلابيبه بعنف وهو يقول جازرًا على أسنانه غيظًا وحنقًا:

- أقسم بالله لأقطع لك عنقك يا زنديق..

ثم أمسك بعنقه وجذب شعره وهو يقول متوعدًا:

- أو أفجر لك رأسك القذر هذا حتى لا تؤذي أحدًا آخر بعد الآن

ثم أخرج سلاحه الناري، فارتعب ديفيد وهو ينظر في عينيه ليستشف فيهما صدق وعيده، وقد رأى ما لا يسره ولا يحمد عقباه، فأسرع يخبره بكل ما يريده، ثم سأله وهو يتوجس مُرتعدًا من الخوف:

- لن تؤذيني أليس كذلك؟.. ستقومون بحمايتي من المنظمة أيضًا؟

فبصق أوس أمامه يهينه وخرج وهو يكتم غيظه والنار تتأجج بداخله، ثم ذهب ليطمئن على طارق.. وقف أمام غرفة صديقه ثم أطل من شباك غرفته، فوجد سيلا وثائرة وسامي وطيبة، كانت سيلا جالسة بجانبه تطعمه قطع التفاح وهم يتضاحكان، وكل من ثائرة وطيبة وسامي يجلسون على الأريكة ويتحدثون في أمر ما، فدخل وهو يحاول أن يكون مرحًا مبتسمًا قائلاً،

- مرحبًا جميعًا

فالتفت جميعهم إليه، ثم وقفت ثائرة فور رؤيته وهي تقترب منه مبتسمة وهي تربت على ظهره تحاول التخفيف عنه وهي تقول:

- أهلاً بك يا عزيزي

ثم قالت سيلا:

- كيف هو مزاجك يا أخي؟

فنظر إلى طارق بأسف وقال:

- سئ؛ فطارق مصاب!

فابتسم طارق له بصفاء وقال:

- لا تقلق عليّ فصديقك قدرته على التحمل كبيرة، أيضًا سريع التعافي

فابتسم أوس هذه المرة من قلبه وقال:

- بالتأكيد
- هل استطعت الحصول على كل المعلومات التي تحتاجها منه؟
- نعم، إنه على درجة كبيرة من الجبن، قد يبيع عائلته كلها ليأثر بنفسه
- هذه صفاتهم لذا لا أندهش كثيرًا

ثم عقد أوس حاجبيه متذكرًا وقال:

- كيف حال فتاة الصاعقة الآن؟

فردت طيبة تطمئنه:

- إنها بخير الآن!.. تلك الفتاة تملك إرادة من حديد، الدكتور قال إنها قد تغيب في غيبوبتها ولا تستيقظ إلا بعد ثلاثة أيام على الأقل لكبر حجم العملية وخطورتها، ولكنها أفاقت بعدها بيوم واحد فقط

فرفع أوس حاجبيه مندهشًا وقال:

- إنها حقًا قوية!

فابتسمت وهي تقول:

- ليس هذا فقط.. فعندما نظر الفزيائي بدوره على الرقاقة التي خرجت من رأسها؛ اندهش من أنها استطاعت تسليط قوتها عليها وتحطيمها وهي قد وضعت لتتحكم بقوتها من الأساس، قال أيضًا إنها قامت بتعريض نفسها للصعق عدة مرات بقوة هائلة حتى تتعرض تلك الشريحة للتلف

ثم نظرت لوجوههم التي أُبدي عليها ملامح الإعجاب بها وبعزيمتها الجبارة، واستطردت وهي تبتسم كمن سيرمي حجر كبير وسط الماء الراكد:

- عندما سألته ما مقدار تلك القوى.. صدمني!

ففغرت ثائرة عينيها وهي تقول بفضول:

- ماذا!
- قال لي أن القوى التي عرضت نفسها لها توازي قوى انفجار نجم في السماء.. تلك الفتاة يجب أن نسميها برق أو نجم وما شابه

فغر كل منهم فاهه، فقالت سيلا بصوتها العذب الحنون:

- إنها حقًا خارقة، سبحان من خلقها وأودع كل تلك القوة بداخلها، سبحان من ميزها واختارها عن الجميع بقدرة حظيت بها وحدها، حقًا لا يكلف الله نفسًا إلا ما بوسعها

فتوالى الجميع يذكرون الله ويتعجبون خلقه وقدرته التي فاقت التصور.

***

كانت تستند على ظهر سريرها تلعب بألعاب الفيديو التي أعطتها إياها طيبة وهي تفتح عينيها على آخرهما مستمتعة لأقصى حد، ناسية رأسها المضمدة، وتحذير الدكتور بعدم الحركة، كانت تلتهم السعادة التي قُدمت لها بنهم وهي تعيش الحياة الجديدة التي أرادتها، حتى فاجاءها صوته وهو يقول:

- ماذا تفعلين؟!

فنظرت أمامها وقالت:

- لقد صحوت أخيرًا!.. لقد حاول سامي أن يوقظك كثيرًا، ولكنك كنت نائم كالحجر كما يقول

نظر إلى رأسها المضمد، ثم قام من مجلسه وجلس بجوار سريرها، وقال وهو يشير إلى رأسها:

- لماذا استيقظتي الآن؟

ثم نظر إلى الكتب التي حولها وجهاز ألعاب الفيديو الخاص بطيبة، ومكعب الروبيك الذي يخص سامي، والكثير من التسالي والأكلات الخفيفة، وقال مرة أخرى باندهاش:

- يبدو إنكِ استيقظتي مبكرًا!
- لم أعد أشعر بالنوم

فرفع حاجبيه مندهشًا قائلاً:

- لم تعدي تريدين النوم!.. لقد خرجتِ من عملية خطيرة بدماغك، لقد قال الطبيب أن عمليتكِ تلك كانت ستجعلك غائبة عن الوعي على الأقل لمدة ثلاثة أيام

فتركت لعبتها ونظرت له وهي تسأله متفاجئة، عاكصة ما بين حاجبيها:

- هل تريدني غائبة عن الوعي؟!

فأنكر سريعًا مُصححًا سوء فهمها:

- لا!.. لا أقصد هذا أبدًا، ولكني فقط مندهش

فأومأت برأسها ثم عادت تلعب تلك الألعاب مرة أخرى، فزفر وهو يسحب منها ذلك الجهاز من بين يديها، دون أن يدرك خطأ ما ارتكبه، فاهتزت يدها بشحنة كهربائية زرقاء تحيط بقبضة يديها التي قبضتها بعصبية وهي تنظر إليه في غضب، فنظر في عينيها بقوة دون أن يعكر صفوهما خوف أو قلق أو حتى غضب يقابل غضبها أو تحدي وهو يقول بهدوء:

- اهدئي..

فاختفت الشحنة الكهربائية ولانت عينيها، ولكنها قالت بعصبية:

- لماذا أخذت مني الجهاز هكذا؟

- لأنني أخشى أن تجهدي رأسك بتلك الألعاب، وأنتِ قد خرجتِ من جراحة كبيرة برأسك منذ قليل!

فلانت عينيها أكثر وهي تنظر إلى عينيه، ثم قالت وهي تحيد بعينيها مرة أخرى عن وجهه تلقائيًا:

- بأعينكم شيئًا يلمع كما تلمع أعين الذئاب!
- ألسنا عشيرة الأوس!

ثم سألها:

- لماذا غضبتِ عندما سحبت من يدك الجهاز؟

فأرسلت عينيها تنظر في كل شيء حولها وهي تفرك يديها بتوتر وملل، ثم قالت:

- لأن ديفيد كان يفعل هذا.. حتى وأنا بداخل المنظمة منذ كنت صغيرة لم يكن لي حرية التصرف في أدق تفاصيلي

فنظر لجانب وجهها وهو يبتسم بخفوت، ثم قال:

- كنت أعلم هذا، ولكني أردت أن أجرب شيئًا ما

فنظرت له سريعًا عاكصة حاجبيها بدون فهم، فاستطرد محتفظًا بتلك الإبتسامة الخافتة:

- لم يستطيعوا ترويضك.. ولم يستطيعوا تغيير قلبك أيضًا

انفكت عقدة حاجبيها وهي تنظر إلى ابتسامته تلك وإلى عينيه التي تنظران إليها بشكل مختلف، فتوردت وجنتيها وهي لا تفهم ما يحدث لها، لا تفهم لماذا تشعر بالخجل وعلام، فتنحنج صهيب وهو يضرب بكفيه على فخذيه وهو يقول مستعدًا للذهاب:

- لا تتعبي عقلك، وارتاحي جيدًا

ثم خرج من الغرفة وأغلق عليها الباب وهو يبتسم قائلاً: **"إنها تخجل أيضًا!"**.

***

اجتمع عند طارق كل من أوس وسامي وسهيل وآخرهم صهيب الذي دخل عليهم وعلى وجهه نفس الإبتسامة، كان كالتائه في عالم آخر، فنظروا إليه وهم يتأملون حالته الجديدة تلك، فسأله أوس:

- هل أنت بخير؟

فأومأ برأسه وإبتسامته مازالت تسع وجهه، فأومأ له أوس بالمقابل بغرابة، ثم نظر صهيب إلى طارق وسأله باهتمام:

- كيف حالك الآن؟
- بأفضل حال والحمد لله
- اعذرني لأنني لم أسأل عن حالك إلا الآن، لقد نمت..

فقاطعه طارق مبتسمًا بود وهو يقول:

- أنا لست حساسًا إلى هذا الحد يا فتى، فلا تقلق!

فابتسم صهيب هو الآخر متجهًا ناحية سامي، ثم وقف بجانبه. وبدأ أوس في الحديث، فغمز سامي صهيب وهو يهمس له:

- أين كنت كل هذا الوقت؟
- كنت نائم، لم أفق إلا منذ عشرة دقائق
- ماذا!!.. كنت في غرفة الفتاة كل هذا الوقت

فعكص صهيب ما بين حاجبيه وقال بحدة ولكن بخفوت أكثر:

- لقد كانت الغرفة مفتوحة، والممرضات يذهبن ويجئن، كما أنني كنت نائم.. وفي الواقع أنت الملام!، كيف تتركني نائم هناك وحدي معها؟

فابتسم سامي وهو يقول:

- ربما عندك حق!، ولكن لقد قمت بأقصى ما عندي حتى أجعلك تنهض، أنت من تنام كأنك صخرة!.. ولكنها صخرة تصدر ضجيجًا عاليًا
- ماذا!!

قالها بصوت مرتفع وعينيه تبحلقان في سامي بصدمة، فصمت البقية، فقال أوس متسائلاً:

- أهناك رأي آخر ما في ما اقترحته يا صهيب؟

فارتبك صهيب نافيًا ما يسأله إياه أوس وهو يقول بسرعة:

- لا لا!، ليس هناك أي شيء
- إذًا ما خطبك!

فضحك كالأبلة وهو يقول:

- لقد شردت قليلاً فتخيلت شيئًا ما وتذكرت شيئًا آخر

فرفع أوس حاجبيه باستغراب وهو ينظر إليه ويدور بعينيه بين طارق وسهيل وسامي، ثم ابتسم، فابتسم صهيب، لتنقلب ملامح أوس إلى عبوس، فاختفت إبتسامة صهيب وهو يضع يده على قلبه، ليهتف أوس بحدة وهو ينظر له ولسامي:

- لا تقفا بجانب بعضكما البعض مرة أخرى

فابتعد كلاً منهما عن الآخر دون أن ينظرا حتى إلى بعضهما البعض، ليهتف بهما أوس مرة أخرى:

- إن لم تنضبطا سأقصيكما من تلك العملية.. أفهمتما؟

أومأ برأسيهما في خجل وأسف وكلٍ ينظر تحت قدميه، ثم أكمل أوس حديثه السابق عن الخطوة القادمة...

بعد ساعة ونصف من الشورى والتخطيط ودع الأربع رجال طارق وتركوه مع والديه وسيلا ووالدتها، ثم خرجوا جميعًا من المشفى، ليقف أوس أمام سامي وصهيب، وهو يقول:

- لقد تركت لكما مهمة القبض على كل من يساعد ديفيد هنا في الوطن، لذا أريد أن أفتخر بكما أمام العشيرة أجمع.. لا تخذلاني!

فوقف الاثنان كالوتد الثابت في الأرض وعيناهما تلمعان توحيا بالجدارة والإصرار والعزيمة وهما يقولا في صوتٍ واحد:

- لا تقلق يا قائدي!

فأومأ لهما ثم أمرهما بالانصراف.

(١٧)

وقفت ذات العيون الزرقاء أمام المكان الذي خُصص لحبس المجرمين الذين يمسك بهم أفراد عشيرة الأوس، كان مبنى كبير جدًا وضخم، نظرت إليه بانبهار وهي تتساءل في نفسها: **" لماذا هو ضخم إلى هذا الحد.. هل يمتلك عشيرة الأوس الكثير من المساجين إلى هذا الحد؟"**.

ثم سألت الحارس الذي يقف أم الباب الدخول لزيارة ديفيد، وشرحت له من هو، فأذن لها بالدخول. دخلت ذات العيون الزرقاء لتتفاجأ بتصميم المبنى من الداخل، كان كمتاهة كبيرة، كمتاهة الأسطورة الأغريقية التي قرأت عنها قريبًا في إحدى الكتب التي أعرتها إياها سيلا، كان من المستحيل أن يخرج منها سجين دون أن يتوه بداخلها إلى الأبد، ولكن كان سهل على حراس المكان التجوال فيها بحرية كبيرة كما رأت بعينيها، فالحارس الذي كان يوصلها بالداخل يبدو وكأنه يحفظها بداخل عقله عن ظهر قلب.. وفي طريقها شاهدت بعض من الزنازين الفارغة والملئ؛ حتى انتهى بها المطاف أمام زنزانة ديفيد، كانت الزنزانة عبارة عن غرفة طُليت باللون الأبيض، بها حوض اغتسال صغير ومكان للتبرز والاستحمام تغطيهما ستارة، ووضع بالجهة الأخرى سرير،

واجهتها الأمامية كانت زجاجية، زجاجها غير قابل للكسر، وعازل للصوت أيضًا، لذا كان يوجد هاتف بالداخل وآخر بالخارج حتى يتم التواصل بين السجين وبين من يريد التحدث معه.

عندما رأى ديفيد ذات العيون الزرقاء أمام الواجهة الزجاجية، جرى ناحيتها بلهفة غضوبة وهو يطرق الزجاج بكل قوته ويقول شيئًا ما لم تستطع أن تستنبطه من حركة شفتيه لغضبه الشديد ولهاثه، فأشارت للهاتف الذي بالداخل، فنظر إليه، واتجه ناحيته وهو ينظر إليها لاهثًا كالمجنون، ثم نزع سماعة الهاتف المُعلق على الحائط وكأنه ينتزع حياة شخص يبغضه، وقال في عنف:

- ماذا تريدين أيتها***

اغتاظت ذات العيون الزرقاء من جرأته عليها رغم ضعفه الذي صار عليه، فقالت وهي تنظر إليه وعينيها تطق شررًا:

- لا تتجرأ عليّ أيها الأحمق!، هذا ليس في مصلحتك، فأنا لم أعد بعد الآن حالة "٥٢٥" التي رغم قوتها كنتم تستطيعون السيطرة عليها والتحكم بها.. ألم تفهم بعد لماذا كل تلك الرقائق التي زرعتموها بداخل عقلي لم تجدي معي نفعًا!، لأن الله هو الذي أوجد بي الإرادة لتحطيمها، ربي وربك الذي كفرت به، لقد كتب لي النجاة لأصل لتلك العشيرة وأتحرر.. كنت تظن أنك تستطيع تحطيم ما أسنه الله من طبيعة لكل

المخلوقات، كنت تظن أنك تستطيع فعل أي شيء!؛ أنت حتى لم تستطع تحطيم إرادتي التي منحها الله لي ولم يأمر بأن تتحطم، كيف تظن إنك قادر على هزيمة ما خلقه الله وقدر له أن يكون حتى يموت!..

ثم صمتت قليلاً وهي تتنفس بتلاحق كمن كان يسابق، ثم تابعت بإصرار:

- أنا حرة وولدت حرة وكان سيأتي اليوم الذي أتمتع فيه بحريتي كما باقي البشر، حتى وإن طال قدومه فهو كضي الشمس آت، ولن يحرمني إياه أحد مثلك ومن هم معك

ثم صمتت لتعقب بعدها بإبتسامة هادئة على طرف ثغرها وهي تفتح عينيها على آخرهما بنصر:

- وانظر لنفسك الآن، أنت بين يدي عشيرة الأوس، العشيرة التي خُلقت بقوى لطالما حلمت أن تخلق أناسًا آخرين يحملونها، بل وأردت أكثر من ذلك، ولكن افق، أنت لست إلهًا!، أنت وكل من تتبعهم مجرد مخلوقات تدور في فلك أقامه الله... والآن توسل إلى شيطانك لينقذك إن كان يقدر على إنقاذك!

ثم وضعت السماعة مكانها بعنف من شدة حنقها، تاركة إياه يصرخ بهستريا ويتلوى وهو يضرب الأرض ضربًا كمن أصابه مس أو صرع.

وبعد أن خرجت من المبنى الكبير أنارت إبتسامتها الواسعة وجهها وهي تزيل كل ما علق بداخلها من غضب كبتته سنين طويلة، فكان التنفيس عنه شيئًا مريحًا جدًا كالتخلص من ثقل كانت تحمله على كتفيها، فشعرت لوهلة أنها أصبحت بالونًا خفيفًا يطير بين ندف السحب البيضاء؛ لا يعي بأي شيء سوى أنه يريد الطيران أكثر وأكثر، حتى أنها لم تنتبه لصهيب وهو يشاور لها، فتقدم منها ووقف قبالتها، ثم سألها عاقدًا حاجبيه بعدم رضى:

- لماذا أتيتي إلى هنا؟
- لقد أتيت لأتشفى برؤية ديفيد وهو محبوس كدجاجة ستساق للذبح
- هل ضايقكِ؟

فنظرت له وهي ترفع حاجبيها وتشير إلى وجهها وهي تقول:

- ألا ترى تلك الإبتسامة التي تغرق وجهي برضا؟

فابتسم وقال:

- بل رأيتها!.. لابد إنكِ قمتِ بإغاظته جيدًا

- هذا ما حصل بالفعل

فضحك وهو يقول:

- أنتِ حقًا لستِ هينة على الإطلاق

فضحكت هي الأخرى، ثم سألته:

- ولكن لماذا أتيت إلى هنا؟
- آتي كل فترة أتابع الحراسة وأتابع السجناء كذلك
- يبدو أن عدد السجناء ازدادوا الآن.. لقد نجحت أنت وسامي في القبض كل من كان يساعد ديفيد ومنظمته، مبارك عليكم النجاح

فابتسم صهيب، لتستطرد سائلة:

- ولكن ما مصير هؤلاء السجناء؟
- بعضهم سيحكم عليه بالسجن المؤبد، والبعض الآخر سيُحكم عليه بالموت نظرًا لجرائم شنيعة اقترفها، وهناك آخرون ولكنهم لا يزورون هذا السجن؛ وهؤلاء هم من ارتكبوا أفعال سيئة ولكن رغمًا عنهم بسبب الفقر أو الجهل أو التهديد؛ لذا نحن نقوم بإعطائهم فرصة أخرى بتأمين حياتهم من مصدر دخل شريف؛ لكن مع قضاء مدة العقوبة اللازمة لهم لتأهيلهم نفسيًا ليكونوا أشخاص أفضل، والمكان غالبًا يكون خاص بنا

فالتمعت عيناها وهي تقول بإعجاب:

- أنتم تبهرونني كل يوم يا صهيب

فنظر إليها مشدوهًا وقال:

- ألا تري أن من تستطيع إنارة مدينة بأكملها أكثر أبهارًا!
- لا!.. إن كنت ترى قوتي اكثر إبهارًا فهذه ليست الحقيقة، فقوتي تلك لم تحررني، أنتم من حررتوني، ربما تملكون قوة جسدية كبيرة جدًا، ولكن تملكون عزيمة في قلوبكم أكبر منها، أنتم مختلفون بقلوبكم، وهذا سر قوتكم كما قال أوس
- الطيور على أشكالها تقع يا ذات العيون الزرقاء

قالها صهيب وتجمد في مكانه، وتخضبت وجنتاها وتلجلجت في وقفتها كأنها تقف على أرض تنبت بها الأشواك، فآثرت التحرك قائلة:

- يجب أن أذهب الآن!

فأسرع خلفها ولم يتركها، أراد أن يمحي عنها خجلها أولاً حتى لا تمنعه من الوقوف والتحدث معه مرة أخرى، أيضًا لم يستطع أن يتركها تذهب بتلك السرعة، ففي كل لحظة معها يشعر بأن هناك شيئًا ما مختلفًا في قلبه، ولا ينكر أن ذلك الشعور يصطحبه معه

بصدره في أي مكان حتى وإن فارقها، ثم قال بسرعة ليتدارك الموقف وهو يمشي بجوارها:

- ربما هذا ليس اسمك ولكن لون عيناكِ يذكراني بقصة زرقاء اليمامة

فتوقفت وهي ترفع حاجبيها كالاطفال بفضول وهي تقول:

- ما قصة زرقاء اليمامة؟

فابتسم لأنه نجح في إبقائها وتغيير الموقف المحرج لها، وإثارة فضولها، ثم ابتسم أكثر وهو يرى ملامحها الطفولية البريئة ترتسم على وجهها في لحظة إثارته، وقال:

- زرقاء اليمامة فتاة امتلكت قوى خاصة بعينيها
- وما هي قوتها؟
- كانت تستطيع رؤية القادم من على بعد ثلاثة أيام

فشهقت ذات العيون الزرقاء بعدم تصديق وهي تسأله بلهفة:

- حقًا!
- هذه شخصية حقيقية عاشت في منطقة اليمامة بنجد، لذا سُمت بزرقاء اليمامة، وهذا منذ زمن بعيد جدًا
- احك لي عنها!

- زرقاء اليمامة فتاة من قبيلة طسم، تلك القبيلة نزحت مع قبيلة أخرى تسمى جديس من بابل أثناء استيلاء الفرس على أراضيهم، توحدت القبيلتين وسكنوا منطقة اليمامة في نجد، في تلك الفترة عرف عنها قومها حدة البصر فكانت قادرة على أن تُبصر الشعر الأبيض في اللبن، وتحديد النجموم في السماء، واستبصار القمر قبل سطوعه، وتحذير قومها من الأعداء بمسيرة ثلاث أيام، كان يذاع صيتها في المناطق المجاورة على أنها أسطورة، ولكن في يوم من الأيام عرف ملك اليمن "التُبع اليماني" بحقيقة وجودها على يد "برياح ابن مُرة" فرد من أبناء قبيلتها طسم بعدما هرب من الذبح على يد أمراء قبيلة جديس لانتقامهم من الملك عمليق وحاشيتة من أهل طسم، فخان أهل اليمامة جميعهم من أهل جديس ومن أهل طسم ونصح التبع اليماني بغزو اليمامة أثناء خلاف القبيلتين على أن يحميه من شرورهم، فكان صاحب فكرة التخفي بأخشاب الأشجار وأجمتها، لذا عندما كانت تراقب الطرق كانت ترى أجمة الأشجار تتحرك؛ فتذهب لقومها تخبرهم بأن الأشجار تمشي وتتحرك؛ فلم يصدقوها، وظنوا أنها جنت، وهناك من سخر منها، لكنها لم تستسلم، كانت تذهب لقومها مرات كثيرة أخرى تخبرهم أن الأشجار تقترب، لكنهم كانوا يتضاحكون عليها ويسخروا منها أكثر...

- هــا، وماذا حدث بعدها!
- الخاتمة قاسية

فأخذت ذات العيون الزرقاء نفسًا طويلاً وقالت كمن تشحن نفسها بالطاقة وهي تهز رأسها بحثه على إكمال قصته:

- أنا مستعدة لسماعها

فابتسم صهيب وهو يسر نفسه بحبه لتفاصيلها الصغيرة الطفولية تلك وقال:

- حسنًا.. أغار عليهم جيش الأشجار وأسروهم، وكان طلب الملك هو إحضار زرقاء اليمامة إليه، فسلمها قومها لضعفهم وخوفهم، ثم...
- ثم ماذا؟!
- فقع لها عينيها بالسيف

اغتم وجهها وهي تستنفر ما حدث لزرقاء اليمامة، فقال لها:

- أنتِ من طلبتي إكمالها!

فأومأت برأسها مؤكدة صحيح ما قاله، فقال لها:

- لا تحزني يا ذات العيون الزرقاء، زرقاء اليمامة عاشت سيرتها كأسطورة لإمرأة قوية قامت بتحذير قومها كثيرًا ولم

تتخاذل كقومها، ولم تخن كرباح رغم الصعوبات التي رأتها على أيديهم

فنظرت له وقالت بحزن:

- كيف لم يصدقها قومها وهي لم تكذب عليهم من قبل، حتى وإن كان ما تقوله غريب، لكن كان يجب عليهم أن يحذروا على الأقل!
- ربما لأن هاتين القبيلتين تستحقان هذا منذ البداية
- لماذا تقول هذا؟

فنظر للسماء بحكمة وقال:

- أنتِ لم تسأليني عن سبب ذبح أمراء جديس للملك الطسمي عمليق وحاشيته!

تفكرت ذات العيون الزرقاء قليلاً قبل أن تسأله ثم قالت"

- ربما لأنهم يريدون المُلك من الطسم؟!
- لا
- إذًا لماذا؟!

فنظر لها بقلق ثم قال:

- هل ستستطعين تحمل الاستماع إلى ما وقع من ظلم بشع؟

فابتلعت ذات العيون الزرقاء ريقها وقالت:

- أريد أن أعرف لأتعلم من مصائب الإنسان وشدائد الزمان
- حسنًا لكي هذا!

فابتلع ريقه بسرعة واستكمل ما بدأه قائلاً:

- كما عرفتِ منذ قليل أن قبيلتي طسم وجديس توحدتا بعد أن نزحا من بابل، ولهذا كان يجب أن يكون هناك ملكًا يحكمهم، فاختير ملك من قبيلة طسم لأنهم الأكثر عددًا، وأصبح هذا أمرًا تتوارثه قبيلة طسم، وتعايشت القبيلتين في تآخي ومحبة حتى مرت السنون واعتلى الحكم ملك ظالم يسمى عمليق، وكانت طريقة حكمه مليئة بالقسوة والظلم خصيصًا على أهل قبيلة جديس...

فقاطعته ذات العيون الزرقاء وقالت:

- إذًا هكذا هو الأمر!

فأغمض عينيه بأسف وقال:

- بل الأسوأ لم يأتي بعد!

ارتفع حاجبي ذات العيون الزرقاء بصدمة وارتفعت عقيرتها بالخوف، فأكمل:

- لنقل أن الأسوأ بدأ عندما هاجته امرأة من جديس تسمى هزيلة لأنه أخذ ابنها الصغير منها وجعله خادمًا له عندما احتكمت أمامه هي وطليقها الذي كان من قبيلة طسم بأيهم أولى بحضانة طفلهما، وعندما خافت هزيلة أن يظلمها بميلة لأهله من طسم؛ كان هو فكر أن يأخذه من بينهم خادمًا له وسط صرخاتها وضحكاته العالية.. وبعدما سمع أن هزيلة تهجوه في الطرقات قرر أن يتمادى في ظلمه ويعاقب أهل جديس جميعهم بأن لا تتزوج عروس من فتيات جديس إلا وتأتيه يدخل بها قبل أن يدخل بها عريسها

فشهقت ذات العيون الزرقاء وهي تضع يدها على فاهها لتكتم قوة الصدمة التي انتابتها، وامتلئ وجهها بالمقت والتقزز، غير أنه أصاب قلبها الخوف والهلع، وقالت:

- لهذا السبب قتلوه أهل جديس، أليس كذلك؟
- ربما، ولكن ليس بعد، فهم انصاعوا لقراره وأمره قِصرًا

فاندفعت ذات العيون الزرقاء تقول بغضب:

- القذرون، الأنذال.. كيف ينصاعوا لمثل هذا القرار!!.. كان يجب عليهم أن يقتلوه منذ أن أصدر هذا القرار الذي يتعدى على حرمتهم ورجولتهم وشرفهم

ثم سألته بلوعة:

- ماذا حل بفتيات جديس؟.. أتمنى أن يقتلوه أو أن يفعلوا شيئًا ما

فابتسم صهيب بخفوت وهو يفخر بإباءها ودماءها الحارة وقال:

- للأسف في البداية لم تستطع أي فتاة أن تحرر نفسها من هذا الذل، إلا فتاة واحدة، بنت أمير من أمراء جديس التي ما إن وصلت إلى قصره ودخلت غرفة العرائس المخصصة لهن وعرفت ما سيجرى لها هي الأخرى؛ حتى ضربته بعصا على رأسه مرارًا إلى أن نزف، ثم هربت إلى بيتها مرة أخرى...

فقاطعته ذات العيون الزرقاء قائلة بشماته جلية:

- أتمنى أن ينحرج أباها ولا يرفع عينيه في عينيها
- وهذا ما حدث، وبعد أن لامته ابنته، قرر أن يجتمع بأمراء جديس وفرسانهم ويعدوا لعمليق وحاشيته من كبراء طسم مكيدة خاصة، فجمعهم على عزيمة خاصة تعبيرًا عن أسفه مما فعلته ابنته.. فقبل عمليق وفكر أن يتناول العزيمة ويدخل بإبنته في بيتها وفي غرفتها عقابًا لها.. فحدث ما ذكرته في البداية، قام الفرسان بذبح عمليق ورجاله جميعهم حتى ارتوت الأرض بدمائهم التي سالت في كل مكان

صمتت ذات العيون الزرقاء قليلاً ثم قالت:

- كان عندك حق عندما قلت أنهما يستحقان... القبيلتان تستحقان هذا الأسر والذبح تطهيرًا لذنوبهم، هذا ما اكتسبته أيديهم.. طسم الذي تجبر أهلها ووافقوا عمليق ولم يستنكروا قراره وأفعاله، وجديس التي خنعت للذل والهوان، وانصاعوا لأن يُمرغ شرفهم بالوحل

فأكد صهيب كلامها معجبًا به وبها:

- من يقبل الذل مرة يتجرعه رغمًا عنه ألف مرة

ثم شرد صهيب مبتسمًا، يلقي بنظره كل حين وحين على حجابها جديد الطلة الذي يلتف حول وجهها البرئ فيزيدها براءة وألقًا، حتى قطعت شروده قائلة بقلق:

- إذًا ما وجه الشبه بيني وبين زرقاء اليمامة؟
- عينيكي بالطبع!

فنظرت له باستغراب وقالت:

- ظننت أن هناك شيئًا آخر غير عينيها

ففكر قليلاً ثم قال مرة أخرى:

- أنتِ أيضًا لا تستسلمين مثلها.. لقد حذرت ديفيد مرات عدة من عواقب ما يفعله كما هي كانت تحذر قومها مرارًا رغم أنهم كانوا يسخرون منها وينعتونها بالجنون والخرف.. لم

تستلمي طوال تلك السنوات ولم تصبحي مثلهم، لقد حافظتي على آدميتك رغم كل شيء، لقد خلقكِ الله بفطرة طبيعية ميالة للخير ولم تلين للشر.. فالحمد لله

- الحمد لله

ثم قالت مرة أخرى وهي تنظر للسماء تفكر:

- لماذا تحمي مثل أولئك الناس، أولئك بعضهم ظلم وافترى واعتدى على أعراض النساء، وآخرون تركوا من يعتدي على أعراض نساءهم لأنهم جبناء خائفون وبلا نخوة أو رجولة... بالأصح قومان ظالمان يفضلون ظلم المستضعفين من النساء والأطفال ليس إلا.. إنهم شياطين، لماذا لم تتركهم وتهرب هي من الجحيم الذي كان سيحل عليهم؟!
- لقد فكرت يومًا مثلك، حتى قال لي شيخ كبير "ربما لأنها كانت تضع أمام عينيها المستضعفين من هم مثلها، ربما أرادت نجدتهم ولم يرتاح ضميرها لتركهم، لقد كانت تملك قلبًا يخاف ظلم هؤلاء الضعفاء، أو قلبًا يخاف ترك أحبابه.. إنها ليست كعمليق ولا كرجال جديس الذين فرطوا ببناتهم وتركوهم للإهانة والتعذيب

ففتحت ذات العيون الزرقاء عيناها على آخرهما وهي تمرر كلمات صهيب الأخيرة بعقلها، تومئ رأسها بفهم وهي تقول بخفوت:

- لقد أرادت أن تنقذ من يستحق الإنقاذ، لقد أرادت أن يعم الخير من جديد، وإصلاح كل ما تستطيع إصلاحه، فهي مهما كان لم تستطع التخلي عن قومها الذين تعرفهم من أهل جديس أو طسم

فنظر إليها صهيب يسألها:

- أتقولين شيء؟

فنظرت أمامها وقالت وهي تشير إلى الآتي:

- لقد أتى صديقك سامي

فنظر صهيب إليه، ثم قالت له مرة أخرى:

- سأذهب أنا الآن

ثم تركته وذهبت وهو ينظر إليها تبتعد عن ناظريه ، فلكزه سامي بظهره وهو يقول:

- التفت لي وأخبرني ماذا تفعل هنا؟

التفت له صهيب ثم قال وهي يحك رأسه محاولاً التذكر:

- لقد جئت لأرى مبنى السجناء

فنظر سامي حوله وقال:

- حسنًا لنذهب

- هيا

بعد مدة كافية من مراجعة أمور السجن والسجناء، خرج الاثنان من المبنى الضخم وهما يتفقان على بعض الأشياء مع رئيس الحرس، ثم تركاه بعدها وابتعد كل منهما، حتى أوقف سامي صهيب واقترح عليه أن يجلسا قليلاً، فوافقه صهيب وجلسا على مقعد تحت شجرة جميلة كبيرة خضراء تسمى "زنزلخت"، ثم بدأ سامي قائلاً وهو ينظر إليه مبتسمًا بلطف:

- والآن أخبرني، ماذا يحدث معك؟

فنظر صهيب أمامه وسأله:

- هل تلاحظ عليّ شيئًا ما؟
- من يعرفك بالتأكيد سيلاحظ عليك شيئًا ما؟

فصمت صهيب الهنيهة ليقول بعدها:

- إنها تجذبني بشخصيتها الفريدة، وقوتها المختلفة، ولينها في ذات الوقت، إنها شخصية لم أرى مثلها من قبل؛ حتى هنا بيننا في عشيرة الأوس..

ثم نظر إليه وهو يتنهد مردفًا مرة أخرى:

- أعتقد أن فضولي هو من يحركني ناحيتها وليس أكثر من ذلك
- ولماذا لا تقل إعجابًا أو حبًا؟!

فعكص صهيب حاجبيه بعدم رضا وقال:

- أنا عملي جدًا يا سامي!.. لا استنكر الحب وكل تلك الأشياء، ولكن أراها أشياء تأتي بعد مدة وبعد تفكير وبعد دراسة!.. هذه هي طريقة حبي، لذا لا تقل لي إنني قد أحببتها بتلك السرعة، إنها لم تمكث بيننا سوى شهرًا واحدًا فقط!
- دعني أخبرك أمرًا صغيرًا ربما يوضح شيئًا ما بداخلك.. إن شخصية عملية مثلك إن وجدت شخصية تثير فضولها إلى هذا الحد؛ بل وتثير إعجابها بهذا الشكلب فهذه دلالة أن ربما هناك شرارة تنتظر أن يكتشفها صاحبها

تردد صهيب قليلاً ولكنه أكد قائلاً:

- لا أعتقد ذلك!

فزفر سامي بحرارة متململاً وقال:

- حسنًا سأصدقك، ولكن يجب أن أخبرك أمرًا
- ما هو؟
- يجب أن تكبح فضولك قليلاً بشأنها، يكفي أن تعرفها بالوقت وبعيدًا عنها كما نساء العشيرة، وكل ما تريد معرفته عنها وعن شخصيتها ستعرفه مع الوقت وممن حولها، وبعدها سيكون قرارك بشأنها واضحًا بشكل مدروس وواضح كما تريد

فنظر له صهيب وقد شعر أن سطلاً من الماء البارد قد سُكب عليه سريعًا، فقال بحرج:

- لم أقصد...
- أعلم يا صديقي، ولكنني آثرت أن أنبهك فقط، فقد كنت تدور في فلكها في الأيام الماضية وكأنك منوم مغناطسيًا، لذا أردت أنا أتأكد إذا كنت تحبها أم لا، أيضًا لا أريد للمسكينة أن تفهم شيئًا أخر من أفعالك اتجاهها؛ فتتألم إذا شعرت بشئ ما ناحيتك وأنت لا تبادلها إياه

فأغمض صهيب عينيه غضبًا وهو يلوم نفسه ويقول:

- لقد أخطأت
- لا تلوم نفسك الآن، حاول كبح جماحك فقط

فأومأ صهيب برأسه ممتثلاً.

***

قرعت ذات العيون الزرقاء باب بيت سيلا تستأذن الدخول، ففتحت سيلا الباب وهي تقول باشة وهاشة:

- مرحبًا بفتاتنا القوية.. ادخلي يا عزيزتي

فابتسمت لها ذات العيون الزرقاء ثم دخلت وألقت السلام على كل من والدة طارق وأوس، وطيبة وثائرة، ثم نظرت لسيلا مرة أخرى وهي تقول:

- لقد اخترت اسمًا لي
- ما هو؟
- زرقاء الأوس مثل زرقاء اليمامة

ففتحت سيلا عينيها مندهشة وهي تبتسم قائلة:

- هذا جميل فعينيكِ زرقاء بشكل جميل ومختلف
- ربما ولكن ليس كزرقاء اليمامة كما يبدو، فقوتها كانت في عينيها الزرقاء وأنا قوتي الكهرباء، صحيح أن الكهرباء لا لون لها ولكنني دائمًا أبدأ بشحنات زرقاء

فصفقت طيبة وهي تقول:

- هذا يليق بكِ كثيرًا

ووافقتها ثائرة، ثم باركتها كلاً من والدة طارق وأوس وهما سعيدتان بسعادتها. فابتسمت بود ثم ألقت مفاجأتها الثانية أمامهم وقالت:

- أريد أن أطلب منكن أمرًا!

فحثتها والدة أوس مرحبة بطلبها:

- اطلبي ما تريدين يا عزيزتي
- أريد أن أحمي تلك العشيرة لأنها تستحق

فابتسمت طيبة لها بحب وود وقالت:

- أنتِ أصبحتِ واحدة منا الآن

فنظرت لها بحب متبادل ثم نظرت لهن جميعًا وقالت مفسرة:

- أنا أستطيع فعل الكثير بقوتي تلك، لذا أريد أنا أذهب مع فريق أوس للخارج.. أريد أنا أساعدكم وأساعد العالم كله من شر هؤلاء، أريد مساعدة كل من عانى مثلي وأحررهم

ثم ثبتت عينيها على ثائرة وقالت:

- أريدك أن تكلمي أوس يا ثائرة وتخبريه باقتراحي

فرفعت ثائرة هامتها لشدة ما رأت من إصرار في عينيها، ولقوتها الساحقة؛ فأومأت برأسها تجيبها بالموافقة. فافتربت منها أم أوس وهي تنظر إليها بود وتربت على وجنتيها ثم قالت:

- يا عزيزتي!، هنا في عشيرة الأوس النساء مكرمون، لا يجب تعريضهن للخطر رغم أنهن يمتلكن القوة التي تفوق قوة الرجل العادي أيضًا؛ لكن يجب على الرجال حمايتنا رغم هذا وعدم تعريضنا للخطر، وهذا هدف عشيرة الأوس منذ قديم الأذل؛ حماية الأطفال والنساء والضعفاء، وأنتِ الآن صرتِ منا، أعلم أنكِ تملكين قوى شديدة البأس ولكن لا يجب أن تستهيني بالأخطار التي بالخارج

نظرت زرقاء الأوس إلى والدة أوس بامتنان وهي تستشعر شعور جميل بأنه يوجد أشخاص يحبونها ويخافون عليها، والأجمل أنها تشعر بشعور مميز حُرمت منه طيلة حياتها التي عاشتها حد الآن، شعور الفتاة التي تمتلك أمًا تخاف عليها وتحميها وتحبها، ثم ابتسمت وهي تحمل كفي السيدة رقية بين يداها وقالت بحب وإصرار:

- أعلم من صميم قلبي إنكِ تخشين عليّ كما تخشين على طيبة وسيلا وثائرة، ولن أتردد أن أقول إن هذا يعجبني، فأنتِ يا سيدتي تشعرينني بالأمومة التي حُرمت منها، ولكن لا

تقلقي!؛ فأنا فتاة تعرضت لكل الأخطار، ورأت كل الفظائع.. عندما كنت بالخارج لم أكن أشعر بأنني إنسانة بسبب كل تلك الأشياء التي رأيتها، لقد رأيت الوجه المظلم للعالم مبكرًا، ولم أشعر بأنني إنسانة إلا عندما تحررت وأتيت إلى هنا، لذا لا أريد أن يعاني ممن هم مثلي، أريد أن أنقذ المعرضون لذلك الشر، ولأنني أكثر من عرفت الشر ورأيته وجاورته فأنا الأجدر بمحاربته، كما أنني أريد حماية عشيرتي كذلك؛ فتلك الجماعات يعلمون بأمركم وينون على كل شيء سيء لكم، لذا أرجوكِ لا توقفيني

تنهدت السيدة رقية باستسلام ثم قالت:

- حسنًا!، علينا الآن أن نسمع رأي كبار العشيرة
- برأيك هل سيمنعوني؟

فابتسمت السيدة رقية بلطف وقالت:

- نحن هنا لا نمنع أحد ولكن نتشاور لما هو أصلح وأفضل للفرد وللعشيرة

فأومأت زرقاء الأوس بجزل ثم أدارت وجهها للجالسات اللاتي اعتلى الوجوم وجوهن، فقالت بمرح لتغيير تلك الحالة:

- ما رأيكن باسمي الجديد!

ابتسمن لها؛ وقالت طيبة:

- جميل، إنه يليق بكِ يا ذات العيون الزرقاء

فابتسمت زرقاء الأوس وهي تتذكر صهيب عندما ناداها بذات اللقب، وتسائلت عن ردة فعله عندما يعلم باسمها الجديد.

نادتها ثائرة باسمها الجديد ثم قالت مبتسمة بثقة وهي تنظر إليها وتنظر للجالسات:

- لا يجب علينا القلق على زرقاء الأوس...

ثم أكملت وهي تضحك:

- بل علينا القلق على من سيقفون أمامها، لن يستطيع أحد الاقتراب منها سنتيمترًا واحدًا، ربما في البداية أسروها لأنها كانت طفلة، واستطاعوا التحكم بها بواسطة تلك الرقائق التي لولاها ما استطاعوا التحكم بها

ابتسمت لها زرقاء الأوس ثم قالت بتألم وهي تنظر للفراغ متذكرة:

- عندما كانت تتدمر الرقاقة الي برأسي كانوا يلجئون إلى إدخالي غيبوبة طويلة الأمد لصنع رقاقة أخرى أقوى، لقد شوهوا لي جمجمتي بكثرة العمليات الجراحية التي أجروها عليّ منذ صغري، كما أنهم فتحوا صدري لدراسة قلبي، لقد صعقوني بالكهرباء كثيرًا جدًا ليعرفوا آثارها على مخي،

عرضوني أيضًا للتعذيب وللخوف لمعرفة ذبذبات مخي، حاولوا قتل آدميتي بجعلي قاتلة!.. لقد حاولوا كثيرًا جعلي أقتل للحفاظ على حياتي

فسألتها طيبة بترقب:

- كيف؟
- كانوا بعد كل مدة من التدريب غير الآدمي يجمعوننا في مكان واحد ويرتقبون حدوث انتخاب للأقوى، كنا نتقاتل لنبقى أحياء، وكانوا يعلمون مدى قدرتي ولكنهم كانوا يريدون مني أن أكون الظاهرة التي تؤدي للانتخاب
- وماذا فعلتي؟
- كنت أستطيع أن أميت الجميع بضربة واحدة كافية ولكنني لم أكن أفعل؛ لذا كنت أعاقب بالكثير من عقاقير المحاكاة، تلك العقاقير قادرة على إفقاد المرء صوابه، كانت تتفاعل مع العقل لتبرز أمام المرة أسوأ كوابيسه على الإطلاق، غير تلك التي كانت ترتبط بجهاز يستطيع رسم مخاوف أخرى بداخل العقل البشري

فنظرت ثائرة إلى أعماق عينيها وهي تقول بثورة لهن جميعًا:

- لقد دمر هؤلاء الحمقى طفولتها، لقد سلبوها حياتها وحريتها، لقد تلاعبوا بروحها، يجب عليها أن تنتقم؛ فإن لم تنتقم هي فمن سينتقم..

ثم أخذت شهيقًا تضبط به أنفاسها الثائرة وقالت:

- سأقولها مرة أخرى أنتِ تستطيعين تدميرهم جميعًا

فثارت طيبة هي الأخرى وهي تصيح:

- نعم!.. اقضي عليهم جميعًا يا زرقاء الأوس

***

(١٨)

وقف صهيب في الصالة الرياضية يتمرن حين قاطعه شابان يافعان في مقتبل العمر يقفان على الجهة الأخرى منه وهما يتحدثان عن زرقاء الأوس، فتوقف عن الحركة وأستمع لأحدهما يقول للآخر بانبهار:

- أنا لم أرى فتاة بمثل قوتها حتى الآن، سبحان من أودع بداخلها كل تلك القوة، لقد استطاعت إمداننا بالكهرباء بعدما كنتا نتكلف الكثير لتوليد كهرباء مدينتنا

فابتسم الفتى الثاني لصديقه وهو يقول بنفس الانبهار:

- حقًا إنها فتاة مُبهرة!، لا أعلم كيف استطاعت توليد مثل تلك الطاقة من داخلها!
- لا أعلم أنا أيضًا، ولكني أؤمن بأن مصدر طاقة الإنسان هو قلبه
- إذًا هي بالتأكيد تملك قلبًا كبيرًا، وأنا أراها إنسانة طيبة
- وأنا كذلك، لقد اختارت أن تقف مع الحق منذ البداية مع أنها كانت تستطيع الإطاحة بمن يأسرونها وتختار طريقًا آخر، لكن لأنها تمتلك فطرة سليمة نقية لم تفعل ذلك على الرغم من

أنها عانت كثيرًا وترعرعت في أماكن يصعب أن يكبر فيها الصغار أسوياء نفسيًا، لذا هي مُبهرة إلى هذا الحد

ابتسم صهيب عندما سمع كل كلمات المديح التي كانت في حقها، وشعر بالسعادة لاستقرارها بينهم، واستمر في الاستماع إليهما والآخر يقول:

- إنها حقًا كما تقول؛ فطرتها نقية وطيبة، لقد أخبرتني أختي أنها بكت عندما سمعت القرآن لأول مرة في حلقات التحفيظ في المسجد

فأومأ صديقه له وهو يقول:

- هذا واضح!، ألم ترى أنها ارتدت الحجاب سريعًا ولم تحتاج وقتًا لارتداءه بعد إسلامها، لقد كانت مقتنعة بالكامل
- قالت أختي أيضًا أنها كانت تؤمن بداخلها بوجود الخالق لذا مالت إلى معرفة الأديان؛ فقامت السيدة سيلا بسرد لها قصص الأنبياء والرسل ورسالتهم، ثم اختارت الإسلام في النهاية

هنا لم يمنع صهيب إبتسامته من الإتساع بفخر، ولا أن يبتهج قلبه بما يسمع، ولكن هذا اختفى تدريجيًا حينما قال أحدهما:

- تملك قلبًا كبيرًا وجمالاً آخاذًا كذلك

فابتسم الآخر وهو يقول بحماس:

- إنها فتنة بعينيها الزرقاء وشعرها الأسود المتناثر حولها.. الحمد لله أنها لبست الحجاب سريعًا
- ولكن لم ينقص من جمالها شيء، لقد ازداد وجهها براءة وهو يلتف حول وجهها بعفوية

هنا لم يتمالك صهيب نفسه، فألقى الوزن الحديدي الذي كان يحمله على الأرض وخرج عليهما وهو يمسك منشفته الملفوفة كالسوط ويصيح كالثور الهائج:

- كيف تقولون مثل تلك الأشياء يا طائشان؟!

انتفض الصغيران من مكانهما كفأرين مذعورين وهما يصرخان باسمه بصدمة، فاستطرد غاضبًا بوجه محتقن بالدماء الحارة، وعروق وعضلات مُثارة مُنتفضة تثير فزعهما أكثر:

- هل أصبحتما الآن تطيلان النظر إلى النساء أيها المتبجحان؟، هل أصبحت عادة للرجال المسلمين الآن؛ خاصةٍ إننا رجال من عشيرة الأوس؟!

أصبحت الكلمات تخرج من ثغرهما متقطعة متشوهة وهما يقولان برعب:

- ولكننا لم نقل شيئًا سيئًا!

فصرخ فيهما صهيب وهو يحبسهما في الزاوية قائلاً:

- سأربيكما اليوم.. لا يجب عليكما أن تصفا النساء هكذا والتكلم عنهما في الخفاء والشيطان يجالسكما يبث خبثه في قلوبكما
- نحن آسفان، لن نفعل هذا مرة أخرى!.. ولكننا حقًا لم نقول شيئًا غير إننا شهدنا على جمالها وعلى فطرتها السليمة فقط ولم نزيد!

فصرخ بهما صهيب هذه المرة كالمجنون، فهرب الصغيران من أمامه كما تهرب الفئران، ولكن بعد أن أخذ كلٍ منهما صفعة بالمنشفة على مؤخرته، ثم أخذ يصرخ مرة أخرى وهما يفران أمامه قائلاً:

- أحمقان متبجحان بلا أخلاق، كيف تفكران هكذا وأنتم بهذا السن الصغير...

وبعد أن هدأ قليلاً عاد مرة أخرى إلى التمرن، ثم تحدث مع نفسه صارخًا بغضب وهو يرفع الوزن الحديدي: **" في سنهما لم يكن حديثي وتفكيري إلا عن الصولات والجولات والمنافسات الرياضية، متى تغير الزمن هنا... أحمقان بلا أخلاق!"**

***

بعد عدة ساعات من العمل الدؤوب خرج كلاٍ من سامي وصهيب من مبنى عملهم، فبدأ سامي الحديث مبتسمًا إبتسامة متلاعبة وقال:

- ماذا فعلت أيها المتوحش لهذان الصغيران لتجعلهما يهربان بفزع هكذا!

فعكص صهيب ما بين حاجبيه بغضب وقال:

- هل جاءاك ليشتكيا لك؟!
- لا، لقد رأيتهم وهما يفران من صالة الرياضة وكأن من يركض خلفهما وحشًا
- إنهما يستحقان!.. حقًا إنهم صغار بلا أخلاق
- لقد حكيا لي كل شيء، ولم أجد بُدًا فيما فعلته على الإطلاق

فصاح صهيب غاضبًا وهو يقول:

- هل جننت يا سامي!
- اهدأ ولا تغضب سريعًا حتى تسمعني للنهاية

فوقف صهيب وهو يضع كف على كف بعصبية وكأنه يصفعها وهو يقول له:

- أكمل!

فكتم سامي ابتسامته وقال:

- أنا أيضًا لم أحب ما بدر منهما، ولكنهما أيضًا لم يخطئا بشكل كبير، كان يجب عليك أن تُعلمهما بخطأهما حتى لا يفعلاه مرة أخرى عن اقتناع

فزفر صهيب بنفاذ صبر وقال:

- وكيف هذا؟
- بعدما أخبراني بما قالاه وبما حدث منك سألاني إذا كانا أخطئا..

فقال صهيب بضيق:

- وبماذا أجبتهما؟

فنظر له سامي متضايقًا وهو يقول:

- سأخبرك فلا تقاطعني!

ثم نظر له مرة أخرى وقال:

- لقد وضعتهما في نفس موضعك.. سألتهما عن شعورهما إذا سمع أحدهما شخصًا ما يتكلم عن أختهما كما تكلما

فابتسم صهيب وقال:

- وماذا قالا؟

- استنفرا بالطبع وجرت الدماء في عروقهم.. فنصحتهما بعدم التحدث عن النساء في المجالس ووصفهن؛ لأن هذا لا يمت للرجولة والنخوة بصلة، ولا بأخلاق ديننا الذي أمرنا بحسن الأخلاق وغض البصر حتى لا يتلوث داخلنا بالشهوات فتتحكم بنا إذا تركنا لها العنان يومًا في مجلس من المجالس؛ كما فعلتما

ابتسم صهيب أخيرًا وهو يمسك سامي من كتفه يهزه بسعادة قائلاً:

- يا لك من مربي فاضل وحكيم.. ستصبح أبًا جيد!

فابتسم سامي بسذاجة وصهيب يتقدمه، ثم قال هامسًا بخفوت حتى لا يسمعه صديقه: **"أتمنى ذلك!.. ولكنني لا أتمنى أن أسمع مثلما سمعت، ستهزأ بي يومًا ما"**.

***

بعد عدة أيام وقف كلاً من سامي وصهيب أمام مبنى كبير سموه الصغار في العشيرة بمتحف المقتنيات، فقال صهيب لسامي مبتسمًا:

- الأطفال متحمسون لرؤية التماثيل المحاكية للبشر المعدلون
- أرى ذلك

ثم تنهد واستطرد:

- لا أستطيع نسيان نظرات ذويهم المكلومة وانهيارهم ونحن نخبرهم بموتهم غرقى في البحر وأنه يصعب عليهم التعرف على وجوههم الآن.. لقد مات المساكين ميتة شنيعة ودفنوا دون أن يراهم ذويهم حتى

فعكص صهيب ما بين حاجبيه عاقدًا يديه خلف ظهره وقال:

- إنهم بين يدي الله الآن، الله رحيم بهم
- هذا مؤكد

ثم نظر سامي لصهيب مبتسمًا هذه المرة وهو يقول له:

- هل تعرف أن فتاة الصاعقة اختارت اسمًا لها؟

فرفع صهيب حاجبيه وهو يقول مبتسمًا:

- ما هو؟

- زرقاء الأوس

فاتسعت ابتسامتة بدهشة وقد انتعش قلبه وابتهج، ثم سأله مرحًا:

- حقًا؟
- من طريقتك يبدو أنك كنت طرفًا لتسمي نفسها بذلك الاسم، هل لك علاقة بالأمر؟

ابتسم صهيب ببلاهة وهو ينظر لقدمه يفركها بالأرض، ثم قال:

- لقد حكيت لها قبلاً عن قصة زرقاء اليمامة، يبدو أنها تأثرت بها
- اممم!، حسنًا

وفي غمرة سعادته كطفل صغير لشعوره بأنه مميز بشكل ما عندها، وجدها تقف على الجنب الآخر منه ببعد عشرون قدمًا، فنظر إليها مبتسمًا؛ للصدفة التي جمعتهما في تلك اللحظة، حتى فاجئه ظهور ليث الذي مسح الإبتسامة من على وجهه عندما وقف أمامها وهو يقول لها شيئًا ما جعلها تبتسم له.. فأمسك بذراع سامي يهزه بعصبية وهو يقول له بحدة كأنه السبب في وقوف ليث معها:

- لماذا يقف ليث معها؟

فنظر سامي إليهما وهو يقول كمن ينفي عن نفسه تلك التهمة:

- لا أعلم؟.. لا أعلم حقًا!

ولكن صهيب لم ينتظر وقد كان على وشك التحرك ناحيتهما، فكتفه سامي بقوة وهو يجره ليمنعه من الوصول إليهما، كاتمًا فاهه بيده بصعوبة بالغة؛ حتى أنقذه انتهاءهما من الحديث، عندها ارتخى سامي فانفلت صهيب من بين يديه وهو يقول بعصبية:

- لماذا كتفتني بهذا الشكل؟!.. كنت سأسألهما ما الأمر فقط؟

فصاح سامي قائلاً:

- لأمنعك من إحداث جلبة دون داعي.. و أيضًا لماذا تتدخل؟

فقال مستنكرًا:

- ماذا؟!، ألم تمنعني أنت من الوقوف معها من قبل؟
- أنت تختلف يا أحمق، فأنت لا ترى نفسك كيف تكون وأنت تقف معها، تصبح آخر غير صهيب المتقد نارًا، الصارم، وقوفك معها بهذا الشكل سيجعل من يراكما ينتبه لكما، وربما ستجعلها تظن شيئًا أنت أنكرته!

فتوقف صهيب هو يتنفس ويزفر بقوة مهدئًا نفسه بعد أن شعر بخطأه، وصمت، ليستطرد سامي مرة أخرى:

- فكر الآن في سبب كل تلك الجلبة التي أحدثتها والتي كنت ستحدثها!
- حسنًا!.. ولكني أريد أن أعرف ماذا كان يريد منها

فهز رأسه بنفاذ صبر، ثم قال:

- حسنًا، ولكن ماذا ستفعل بعد أن تعرف؟
- ستترتب عندي بعض المعطيات ونتائجها

فضحك سامي ثم قال:

- حسنًا.. يا صاحب المعطيات والنتائج!

***

حل المساء على صهيب بطيئًا وهو ينتظر مكالمة سامي التي ستروي ظمأ فضوله، فخرج يتنفس بعض الهواء الطلق حتى لا تُفقع مرارته وهو ينتظر، وقف تحت السنديانه الكبيرة، ثم خلع حذائه وأخذ يتحسس العشب الأخضر الندي بقدميه، كان شعورًا مليئًا بالراحة طالما تعود عليه صغيرًا، وتذكر والدته التي كانت تدور أمام عينيه حول نفسها كفراشة كلما خلعت حذائها وتلمست قدميها الأرض الخضراء، فابتسم وهو يغلق عينيه مستمتعًا بالذكرى والعشب وهو يقول هامسًا: **"لقد اشتقت إليكِ يا أمي"**، حتى قاطعه ظهور آخر شخص لم يتوقع أن يراه وهو يربت على كتفه من الخلف ويقول:

- ماذا تفعل يا صهيب؟

نظر لصاحب الصوت وهو يحاول ألا يتهكم عليه ثم قال:

- أوه ليث!.. ماذا تريد؟

فارتاب ليث من طريقة صهيب فسأله:

- هل أنت بخير؟

نظر إليه صهيب وقد كان يفكر في أن يسأله عن سبب وقوفه نهار هذا اليوم مع ذات العيون الزرقاء، لذا ظل يأخذ قراره ثم يرجع

فيه؛ حتى قاطعه ليث وهو يمرر يده أمام عينيه ليخرجه من شروده يسأله مرة أخرى مترقبًا:

- أنت!.. ما خطبك؟، فيما أنت شارد هكذا؟

فانتبه له وقد اتخذ قراره، ثم قال وهو يأخذ نفسًا عميقًا:

- ليس هناك شيء معين، ولكنني الآن استمتع بالجو اللطيف هنا

ثم ابتسم له ابتسامة لزجة حتى لا يسأله مرة أخرى عن أي شيء آخر، فاستغرب ليث تصرفاته تلك ثم تركه لحاله وهو يقول له:

- حسنًا!.. أراك لاحقًا!

فأعلن هاتف صهيب عن الاتصال المنتظر، فأجابه بلهفة:

- لماذا تأخرت كثيرًا؟
- ....
- حسنًا تعال إلي، أنا تحت السنديانة الكبيرة في الحديقة

ثم أغلق هاتفه وما إن مرت دقائق معدودة حتى كان سامي يقف أمامه وهو يقول له بلهفة:

- هناك خبر كبير ستعرفه الآن

ففتح صهيب عينيه على آخرهما واقترب منه يمسكه بكتفيه يهزهما وهو يبتلع ريقه بصعوبة:

- ماذا؟!
- زرقاء الأوس ستخرج مع أوس والفريق المقترح إلى مهمة الخارج

صدمته المفاجآة فلم يعقب بشئ.. فاستطرد سامي:

- ليث أيضًا سيذهب لأنه في الفريق المقترح

عكص صهيب حاجبيه سائلاً:

- وهل سمح لها مجلس العشيرة؟
- نعم، لقد أصرت على رأيها وطلبت أن تمد يد العون للعشيرة، ولأنها أيضًا تريد الانتقام من تلك المنظمات، ولا تريد أن يعيش أحد آخر ما عاشته

ثم نظر إلى وجه صديقه وقال مرة أخرى:

- زرقاء الأوس ليست بضعيفة يا صهيب، لذا لا تخف!

فانفرجت العقدة التي على جبينه وهو يقول بجدية كبيرة:

- سأذهب معهم أيضًا

رفع سامي حاجبيه وكاد أن يقترح عليه أمرًا آخر، ولكنه قاطعه وهو يسأله عاكصًا حاجبيه بتفكير:

- لم تقل لي لماذا وقف معها؟
- لا أعلم!، ولكن سنداوة تعرفت عليها واختبرتها قتاليًا.. ربما بعثت لها برسالة معه، أو ربما كانا يتحدثان عن الخطة أو شيئًا يخص الفريق.. أليس كذلك؟
- ربما!

فضغط على شفتيه وهو يبتسم بغموض ويدق على كتف صديقه رويدًا ثم قال:

- ربما يجب عليّ الذهاب حقًا!

***

بعد مناقشة كبيرة أخذت وقتًا كبيرًا وافق أوس على اصطحاب صهيب معهم في رحلته بعد أن تنازل سهيل عن مكانه معهم لأجله، رغم أن صهيب وسامي لم يفصحا عن السبب الكامن وراء إلحاح صهيب ورجاءه الدؤوب، وقد كاد هذا الأمر أن يجن أوس؛ لكنه في النهاية احترم خصوصيته.

أنقذه تساهل سهيل الذي لم يحتاج لأي مبررات؛ خاصة أن صهيب يعتبر أخاه الذي تربى معه في دائرة اليتم اللذان عاشا فيها، كل منهما فقد عائلته فأصبح كل منهما عائلة الآخر، رغم أن العشيرة لم تتوانى لحظة عن الاعتناء بهما؛ لكن فاقد الشئ أكثر من يشعر بمن مثله، لذا كان يشعران ببعضهما البعض كالأخوة الحقيقيون.

احتضن صهيب أخاه عندما خرجا من قاعة اجتماعهم وهو يقول له ممتنًا:

- شكرًا لك يا أخي

فابتسم سهيل بحنان وهو يربت على ظهره برفق:

- لا تقلق يا أخي أنا بجانبك دائمًا

نظر إليه صهيب بتمعن وقال:

- ألا تريد أن تعرف لماذا أُصر على الذهاب؟
- ليس عليك أن تخبرني.. ولكنني أعرف على كل حال

اندهش صهيب وسأله:

- حقًا؟
- نعم!.. أعرف أنك تشتهي الذهاب لأن قلبك يخبرك بالذهاب خلفها، تريد أن تحميها وتنتقم معها من الظلم الذي حل بها، كما إنك تريد أن تتعرف عليها أكتر، ولا تستطيع التفريط بها للحظة فتضيع فيها منك وتندم بقية حياتك لأنك فقط تحتاج لمزيد من الوقت لدراسة الموضوع أكثر

فابتسم صهيب وهو ينظر لعيني سهيل متأثرًا:

- لطالما فهمتني يا أخي!

فربت عل كتفه بحنان وقال:

- لقد كنت يومًا ما مثلك، ولكنني وقعت بأسرها منذ أن وجدتها تقاوم رغم الألم الشديد الذي كان يحل بها، كانت بها براءة استطعت التماسها والإحساس بها طوال الوقت، فلم أستطع التخلي عنها أبدًا... فاذهب خلفها ولا تجعلها تضيع من بين يديك!

فاحتضنه صهيب مرة أخرى وهو يقول:

- سأفعل

في الصباح الباكر أعطى أوس الأمر لفريقه بالاجتماع في قاعة الاجتماعات، فأقبل الجميع بالتوافد فردًا فردًا، وكان أول المجتمعين بالقاعة أوس وصهيب وزرقاء الأوس وليث، فتفاجئ كل من ليث وزرقاء الأوس بوجود صهيب بينهم، فقالت زرقاء الأوس له بمرح:

- صهيب!.. هل انضممت إلينا؟!

فأومأ لها صهيب مبتسمًا، ليقول ليث متفاجئًا:

- ماذا حدث حتى تلتحق بنا؟

فرد عليه صهيب بخشونة:

- هل تقول بسؤالك ذلك أنني لست مؤهلاً لألتحق بالفريق؟!
- لا لم أقل ذلك..

فقاطعه صهيب بحدة منهيًا أي حديث قائلاً:

- القائد أوس من سألني، وأنا وافقت

شعر أوس بعصبية صهيب والتوتر ينساب بين الاثنين كشحنات كهربائية سارية، فقال محاولاً تلطيف الأجواء بينهما:

- هيا اجلسا فأنا أحتاج قوتكما وعقليكما كذلك

فنظر ليث لزرقاء الأوس التي كانت ترى هي أيضًا مقدار التوتر بينهما؛ ثم قال لها مقترحًا:

- اجلسي بجانبي إن أحببتي ذلك حتى لا تشعري بالوحدة بين أفراد الفريق وسأعرفكـ...

فقاطعه صهيب بغضب:

- ومنذ متى وهي تعرفك حتى لا تشعر بالوحدة عندما تجالسك؟!

تنهد ليث بنفاذ صبر ثم نظر إليه وهو يسأله بحدة:

- ما خطبك معي يا صهيب؟!

فاقترب صهيب بصرامة والغضب يجتاحه كفرس غاضب وكاد أن يرد عليه وتصبح معركة طاحنة بعدها، فأوقفهما صوت أوس وهو يقول بغضب:

- هل جننتما؟.. تريدان القتال كأعداء وأمام قائدكما أيضًا؟!

ثم نادى زرقاء الأوس وقال لها:

- اجلسي أينما تريدين، نحن هنا لن نفرقك عنا ولن تشعري بأنك مختلفة

فأومأت له وهي ترمق كلاً من صهيب وليث بغرابة على أفعالهما الصبيانية، ثم جلست بعيدًا عنهما، وكلاً منهما ينظر للآخر بغضب وحدة، ثم جلسا بعدها، وفضّل صهيب الجلوس أمامها حتى يلاحظها إن احتاجت لشئ أو تضايقت من شيء.. واجتمعوا جميعًا، وتفاجأ الكل بوجود صهيب ولكنهم رحبوا به، فقال له أحدهم:

- يعجبني وجود صهيب المتقد بيننا في الفريق

فابتسم له صهيب وهو ينظر إلى ليث نظرة مفهوم مغزاها، ثم قال:

- أشكرك على حسن ترحيبك بي يا أخي

ثم بدأ الاجتماع.

***

بعد ثلاثة أيام وقفت كل زوجة تودع زوجها باكية على الفراق، وكل طفل يتعلق بساق أبيه يريد الذهاب معه، والآباء كل منهم يحمل قلبه بيده حتى لا يمنعه من التحكم به والارتخاء أمام من يحبونهم، وقفت ثائرة تودع أوس وابنهما إلياس على يدها يحاول التمسك بعنق أبيه وهي تقول له:

- اقض مهمتك بسرعة وارجع لنا

فامسك بيدها بقوة وقال:

- لا تقلقي يا عزيزتي

فدمعت عينيها رغمًا عنها وقالت:

- ليحميك الله.. الله معكم

وسارت الفرقة ودعوات ذويهم تنير دربهم وتحميها من هجمات الشياطين والغادرين.

جلس صهيب على ناطحة السحاب يلهث من البرد وهو يتتبع كاميرات إحدى الفنادق الخاصة بتجمع أكبر المنظمات وأقدمهم في إتباع بروتكلات حكماء صهيون التي سنها فرسان الهيكل بأنفسهم، كان يراقبهم وقد صاروا على أهبة الاستعداد للإمساك بهم والتخلص منهم سريعًا بعد عدة شهور في بلاد غريبة بعيدة عن بلدهم. وبجانبه كان يقبع شاب أمريكي أشقر الشعر لامع، كان يعاونه وأصدقاءه الذي رأوا يومًا الحق الذي يحاول أصحاب الظلام تخبئته خلف عبائتهم، ولكن نور الحق يأبى أن يختبئ، فليس لنور الحق إلا أن يبدد الظلمة.

تمت بحمد الله